الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية (1830-مطلع القرن 20م)

الطريقة الشيخية أنموذجاً

د. خير الدين شترة

جامعة أدرار

الملخـــص:

ما دمنا نتحدث عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية فلا بد أن نسجل ذلك الانخراط الروحي الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م إذ ظهر وكأن وطأة الركود التي بلغت ذروتها آنذاك كانت تحدو المسلمين إلى الحركة وكان حتمًا أن تأتى الحركة ورد الفعل متجانسة مع ظروف المرحلة وشروطها الثقافية ولما كان الغالب على العقلية الإسلامية يوم ذاك هو التمثل الروحاني للكون وأسراره فقد رأيناها تستجيب إلى ذلك الضرب من الفقه الصوفي الطرقي الذي ينشره أفراد سعوا يُبددون عوامل الانسداد المتفاقمة من حول الأمة على شاكلة الخلوتي الأزهري بوقبرين وأحمد بن موسى بوحمار والتجاني الابن والدرقاوي، وبومعزة ...

إن الطرق الصوفية آنذاك نجحت في خلق تفاعل بين الدين والواقع المعيش وهو ما أدى إلى تولد الأفكار الحيّة القادرة على مواجهة التحديات المستجدة، وهو أيضاً ما ينبغي على رجال الطرق الصوفية الحيّة الآن أن تنتبه إليه بكل جدية، سنتناول في هذه الدراسة الأدوار الثورية التي قامت بها الطرق الصوفية إبان المرحلة الاستعمارية، ونتخذ لها الطريقة الشيخية نموذجاً، وفق الرؤية التالية:

- البعد الثوري للطرق الصوفية خلال مرحلة الصدمة الاستعمارية
- الطريقة الشيخية " النشأة والتطور":
- الطريقة الشيخية ودورها خلال مرحلة المقاومة الشعبية: وبعد أن نناقش الأثر الروحي ودوره في المقاومة الشعبية سنتناول ثورتين لتأكيد هذا الأثر خلال الفترة 1832-1908؛ كانتفاضة أولاد سيدي الشيخ، وثورة الشيخ بوعمامة.

The abstract:

As long as we're talking about the history of Algeria during the colonial period must be put on record that engage in religious century ever known since the 18th century . and it appeared as if the recession that was then up to the Muslims to lead the movement and it is necessary that the movement is consistent with the reaction to the circumstances of the stage and cultural conditions and the was often on the Islamic mentality that assimilation is the spiritual secrets of the universe and was seen to respond to that kind of Sufi doctrine published by the members of the road sought wasting obstructive factors on the growing of the nation like the way El Shaykhia roles which had a religious, educational, and written a revolutionary can not be denied.

المقدمة:

ما دمنا نتحدث عن تاريخ الجزائر خلال الحقبة الاستعمارية فلابد أن نسجل ذلك الانخراط الروحي الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م، إذ ظهر وكأن وطأة الركود التي بلغت ذروتها آنذاك كانت تحدو المسلمين إلى الحركة وكان حتمًا أن تأتى الحركة ورد الفعل متجانسة مع ظروف المرحلة وشروطها الثقافية، ولما كان الغالب على العقلية الإسلامية يوم ذاك هو التمثل الروحاني للكون وأسراره فقد رأيناها تستجيب إلى ذلك الضرب من الفقه الصوفي الطرقي الذي ينشره أفراد سعوا يبددون عوامل الانسداد المتفاقمة من حول الأمة على شاكلة الخلوتي الأزهري بوقبرين، وأحمد بن موسى بوحمار، والتجاني الابن والدرقاوي، وبومعزة ...

لقد كانت الطرق الصوفية في العهد الاستعماري أهم مؤسسة واجهت الاستعمار وحافظت على الشخصية الوطنية وبخاصة في الجزائر التي طال فيها ليل الاستعمار الهادف إلى قطع كل صلة للشعب الجزائري بأصوله الحضارية لقد تجدد بها الإسلام ومقوماته فكان الجهاد، باعتباره رد فعل طبيعي على واقع الاحتلال الصليبي للجزائر وأداة لرفع الإحباط الناجم عن الهزائم الممهدة لترسيم الاستعمار في البلاد الإسلامية وهكذا غدا الموضوع

الأكثر نجاعة لتوطيد أواصر الوحدة والالتحام هو إيقاظ وعيهم بضرورة مقاومة الاستعمار ومناهضة أساليبه.

لقد كان الاستعمار قبل كل شيء اعتداء على الدين ومساس بعزة الإسلام، والطرق الصوفية هي حامية الدين الذائدة عنه في كل وقت وحين، ولأن المجابهة كانت بين عقيدتين مختلفتين وتراثين ثقافيين متناقضين كانت العزيمة صلبة والمواجهة ذات حدة. وكان هذا هو المناخ الفكري والنفسي الذي وسم شعور المسلمين عامة وطبع وجدانهم وهم يتلقون حدث الاستعمار ويعايشون نتائجه فكيف لا يستمر هذا الشعور وهذا الإحساس بين وحدات لها من مقومات التلاقي أكثر من وسائل التنافر، بل لا زال في مقدور القوى الواعية للطرق الصوفية أن تستمر قائدةً للمسيرة نحو التوحد وقدوة للبشرية ومنارًا لحضارتها.

إن الطرق الصوفية آنذاك نجحت في خلق تفاعل بين الدين والواقع المعيش وهو ما أدى إلى تولد الأفكار الحية القادرة على مواجهة التحديات المستجدة وهو أيضاً ما ينبغي على رجال الطرق الصوفية الحية الآن أن تنتبه إليه بكل جدية، إذ لا مجال لحياة كريمة لأمتنا بغير الصلة الحية بين تفاعل الدين والواقع على أرضية فهم مقاصد الشريعة وإدراك طبيعة هذا الدين وخصوصياته التي ترفض الجمود والكهنوت كما أنها ترفض في الحين نفسه قطع الطريق على تواصلها الحضاري.

1- البعد الثوري للطرق الصوفية خلال مرحلة الصدمة الاستعمارية:.

لقد ذكر العلماء والمختصون تعريفات كثيرة للطريقة وكلها تصب في معنى واحد وهو أن الطريقة هي ذلك المنهج الروحي والطريق السلوكي التربوي الذي يُتوصل به إلى معرفة الله تعالى أي إلى مقام الإحسان «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، يقول الإمام أحمد الرفاعي في كتابه "البرهان المؤيد": « الطريقة– الشريعة والشريعة – الطريقة والفرق بينهما لفظي والمادة والمعنى والنتيجة واحد»، ويعرفها الإمام الشعراني رحمه الله تعالى في كتابه لطائف المنن والأخلاق ج1/ ص2 :«إن طريق القوم محررة على الكتاب والسنة كتحرير الذهب والجوهر فيحتاج سالكها إلى ميزان شرعي في كل حركة وسكون»، ونقل السلمي في كتابه طبقات الصوفية عن الجنيد

رحمه الله تعالى قوله :« الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول صلى الله عليه وسلم، واتبع سنته ولزم طريقته فإن طرق الخيرات كلها مفتوحة عليه»، كما ذكر الحافظ محمد صديق الغماري في كتابه الانتصار لطريق الصوفي: «أما أول من أسس الطريقة، فلتعلم أن الطريقة أسسها الوحي السماوي في جملة ما أسس من الدين المحمدي، إذ هب بلا شك مقام الإحسان الذي هو أحد أركان الدين الثلاثة التي جعلها النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما بينها واحداً .واحداً ديناً بقوله:﴿فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم﴾، في الحديث الصحيح المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه وهي الإسلام والإيمان والإحسان. فالإسلام طاعة وعبادة والإيمان نور وعقيدة والإحسان مقام مراقبة ومشاهدة :﴿ أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك﴾. ثم قال رحمه الله تعالى:فإنه كما في الحديث عبارة عن الأركان الثلاثة فمن أخل بهذا المقام (الإحسان) الذي هو الطريقة فدينه ناقص بلا شك لتركه ركناً من أركانه فغاية ما تدعو إليه الطريقة وتشير إليه هو مقام الإحسان بعد تصحيح الإسلام والإيمان».

وفي رأي السنيّين:« إن الطريقة هي التي تأسست على صفتي انقطاع القلب عن الأغيار وخلو اليد من الدنيا الغادرة»، وأن أول طريقة كانت على يد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولهذا كان للتصوف طرق كثيرة ونذكر منها التي كانت في البداية مثل المحاسبية والقصّارية والطيفورية....أما في الجزائر فقد عدَدَها البعض بـ 17 طريقة، إذن فالطريقة هي:« حلقة الوصل بين الشريعة الإسلامية التي هي المنطلق إلى الحقيقة الإلهية»، وعلى هذا الأساس قال المتصوفة المسلمون:«لا حقيقة من دون شريعة، ولا شريعة من دون حقيقة» والمتعارف عليه أن كل الطرق التي انتشرت في شمال أفريقيا كانت من طريقتين هما الشاذلية والقادرية؛ فالأولى كانت بشكل موسع في المغرب الأقصى، والثانية كانت بشكل واسع في الجزائر ويستنتج من الدراسة التي قدمها بوسكيه أن 1954 الطرق الصوفية في الجزائر عام 1930بلغ 250 ألف[1].

د. خير الدين شترة
الدور الثوري للطرق الصوفية خلال الحقبة الاستعمارية
(1830-مطلع القرن 20م)

وللطريقة الصوفية عدة تعاريف مختلفة تبعاً لمكوّناتها ولوسائلها التربوية والروحية وللأهداف التي تبتغي الوصول إليها وتحقيقها، فهي:

[1]- Bousquet,G.H , Introduction a L'étude générale de l'slam, 4è édition, Alger, 1954, p21

«أسلوب عملي لرعاية سلوك المريد وتوجيهه عن طريق اقتفاء أثر طريقة معينة في التفكير والشعور والذكر والتعلم والعمل تُؤَدى من خلال تعاقب مراحل المقامات وتصاعدها في ارتباط متكامل مع التجارب السيكولوجية أو النفسية المسمّاة أحوال»[1]، أو سلطة قوية بما تملك من أتباع وأموال مختلفة، وسلطة روحية معنوية على الناس من خلال مشايخها[2].

وكما نلاحظ أن الطريقة الصوفية سلطة حاكمة تأمر وتنهي، وتتسع صلاحيات هذه السلطة وتقوى بحسب الظروف الاجتماعية والسياسية، كما تقوى بحسب ما تملك من مؤيدين وأتباع وأموال وبحسب شخصية الشيخ أو المؤسس وأعماله وآثاره ونلاحظ في التعريف الثالث أنه يحكي واقع الحال لما وصل إليه التصوف خلال العهدين العثماني والاستعماري من تصوّر وجوب وقوع الكرامات وخوارق العادات على أيدي زعماء التصوف ليكونوا أهلاً للمشيخة.

ونحن هنا لا نبحث في الطرق الصوفية في حد ذاتها ولكن في الأثر الناشئ بينها وبين الفرنسيين خلال مرحلة استعمارهم للبلاد، وإذا كان الاستعمار الفرنسي قد توصل حتى إلى تدجين بعض الطرق وجعلها في خدمته فإنه اكتفى بالنسبة للقادرية مثلا بالسيطرة على فروعها ومراقبة نشاط من يأتي باسمها من المشرق، وكذلك فعل مع السنوسية والشيخية... التي صوّرها في أحيان كثيرة على أنها مصدر خطر عليهم، وكان الفرنسيون أيضًا ينظرون إلى هذه الطرق (الأجنبية من وجهة نظرهم)، على أنها جمعيات سرية تعمل مع السلطنة العثمانية من أجل تحطيم الوجود الفرنسي في الجزائر وغيرها، وقد ربطوا بينها وبين حركة الجامعة الإسلامية، فالطرق الصوفية من وجهة نظرهم كانت معادية لهم وعميلة للجامعة الإسلامية.

يقول "لويس رين" سنة 1884م :« لقد حاول رؤساء الدين الإسلامي (يقصد رؤساء الطرق الصوفية والمرابطين) إثارة المشاعر الدينية لمكافحة ما يرونه خطرًا كما حاولوا توحيد الروابط الروحية بين الأمة الإسلامية وإذا كانت مقاومتهم في البداية محتشمة وغير منظمة فإنها سرعان

[1] – سبنسر برمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر. عبد القادر البحراوي، بيروت:دار العربية للنهضة،1997م ص26
[2] – محمد الأمين بلغيث، "السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م من خلال تاريخ العدواني" الندوة الفكرية الخامسة للشيخ العدواني، الوادي (1.2.3/ 2000/10)، ص6– – فيلالي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة: دار الفن، ص64

ما أصبحت في غاية التنظيم والتطور وشملت جميع البلدان الإسلامية وقد توصلت اليوم إلى إنشاء جامعة إسلامية أصبحت خطرا يتهدد جميع الشعوب الأوروبية التي لها مصالح في كل من أفريقية وآسيا، وهذه الجامعة الإسلامية تتمثل قوتها ووسيلة تحريكها وتنفيذها في الجمعيات السرية أو الطرق الصوفية التي تمارس تأثيرا عظيما على الجماهير».[1]

حقًا أن الطرق الصوفية كانت نشيطة عندئذ ولكن علاقتها بالجامعة الإسلامية مبالغ فيها فالأكيد أن حركة الجامعة الإسلامية كانت تتجاوب إلى حد كبير مع رجال من أمثال بوعمامة الجزائري وعُرابي المصري والمهدي السوداني وكان الثلاثة متعاصرين ومعاصرين لنشاط جمعية العروة الوثقى التي لها خيوط سرية ولكن ليس بالدقة والضخامة التي يريد لويس رين تقديمها لها، أما الحركة الصوفية فقد كان لها وسائل اتصالاتها هناك طريق الحج رغم القيود عليه، وهناك الرسائل المرموزة والشخصيات المتنكرة، وكان هناك أيضاً المهاجرون الذين لا ينقطع سيلهم، ومنهم من خاض الحرب ضد الفرنسيين وهو يمثل طريقته الصوفية.

وعن طبيعة العلاقات الروحية (الصوفية والمذهبية) بين الأخوان في الجزائر فقد تعددت مظاهرها وتنوّعت أشكالها[2]، ومهما كان الأمر فإن هذه الطرق الصوفية كانت قد أحدثت صلات ولو ضعيفة بين الجزائريين في مجال التصوف والسياسة والحضارة، فلقد نمت الطرق الصوفية في آخر القرن التاسع عشر ميلادي بالجزائر نتيجة عدة عوامل:

- ظهور فكرة الخلاص الروحي على يد الشيخ.
- التعسف الاستعماري باستيطانه وإدارته وقوانينه الاستثنائية بحيث لم يعد للجزائريين من طريق للخلاص إلا العقيدة في الشيوخ.
- انعدام التحرك السياسي والدعم الخارجي وفشل الثورات الداخلية.

وبناءً على ذلك شهد عقد الثمانينات والتسعينات من القرن (19م) نموًا سريعًا في عدد الزوايا والمقدمين والأتباع فكان عدد الشيوخ حينها 57 شيخًا و2149 مقدمًا و349 زاوية، و2000 طالب و224141 من

[1] –Rinne (LOUIS), Histoire de l'insuruction en Algérie de 1871, Alger : 1891. P65

[2] – سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2. بيروت :دار الغرب الإسلامي، 1998، ص 307.

الأخوان، حيث كان المجموع 300000 من الأخوان المنتمين للطرق، وهو رقم في نظر الفرنسيين دون الحقيقة.[1]ورغم الادعاء بوجود ملايين من الأتباع عشية الحرب العالمية الثانية، فإن الإحصاءات المعقولة تُثبت أن عدد الأتباع سنة 1937م هو حوالي 190 ألف/ن بينما كان عددهم سنة 1910م حسب إحصاء آخر هو 295000/ن ومعنى ذلك أن الأتباع كانوا في تناقص كبير، ولكن مكانة شيوخ الطرق الصوفية ظلت مؤثرة على الأتباع المعتقدين فيهم.[2]

عموما فإنه خلال الحرب العالمية الأولى بحسب تحقيقات "دبون Dupont" و"كوبولاني Coppolani" سجلت الجزائر: 29 طريقة صوفية لها: 295185 مريد وعليها 57 شيخا و6000 مقدم وعندها 49 زاوية وتجبي من الأخوان 07 ملايين فرنك فرنسي...» إلى أن قالا: « وللمشايخ والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لاسيما البربر، وان العلماء والمدرسين وأئمة المساجد... لا يكادون يكونون شيئا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق»[3]، ولعل ما اتسمت به هذه الجمعيات الدينية من فعالية في ميدان الحياة الوطنية خلال القرن (19م) أكسبها سمعة ذائعة الصيت وأحلّها من الأمة محلًا مقدسًا مما جعل الغالبية تتشبث بها فلبعض الطرق الصوفية مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها أحد.

وعن حظوتها داخل المجتمع الجزائري يذكر المدني ما يلي «...كانت للطرق الصوفية بقطر الجزائر حظوة كبيرة ونفوذ عظيم وقد كان لها مزية تاريخية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الإسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، فالزوايا الكبرى أمثال: معهد الهامل ومعهد اليلولي ومعهد سيدي منصور... هي التي كانت دائمًا تُكوّن في هذه البلاد طبقة فاضلة من العلماء وحفظة القرآن الكريم...»[4]

ومن أهم هذه الطرق الصوفية بحسب أهميتها لموضوعنا المدروس:

---

[1]– نفسه، ص 300.

[2] – Archives Nationals (Tunis), Série D, C178, Dossier 1, NP (1-2-3-4-5).

مراسلات إخوانية بين الطرق الصوفية في القطرين.

[3]– Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 2, NP26.

مذكرة تتضمن إرشادات استخبارية عن أحمد بن عباس الجزائري المقيم بتونس والمتهم بإحداث خلافات بين الطرق الصوفية.

[4]– المدني (أحمد)، كتاب الجزائر (ط1– 1931)، الجزائر: دار الكتاب 1963 ص. ص(350–351). وللتوسع يراجع : محمد ناصر، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر :ش.و.ن.ت، 1978 ،ص 107.

أ-**الطريقة القادرية:** (أسّسها محي الدين بن عبد القادر الجيلالي (1079 – 1166)م المولود بجيلان في بلاد فارس وأدخلها إلى المنطقة رجل يدعى الحاج بوزلفة عام 1784م[1])، فالطريقة القادرية هي أساس ومنطلق كل الطرق الصوفية في الجزائر، فالمدينية (نسبة إلى أبا مدين شعيب بن الحسين (1104-1198م) تفرعت عن القادرية) والجنيدية (نسبة إلى الجنيد البغدادي ت 297هـ)، وتفرعت عن المدينية، الطريقة الشاذلية وعن هذه الأخيرة تفرعت طرق أخرى كثيرة كالدرقاوية والجزولية واليوسيفية والعيساوية والشيخية والطيبية والحنصالية وغيرها وإن كانت الشاذلية قد تفرعت أصلا عن القادرية، ولكنها أخذت منحنى صوفيا يختلف عن المنحنى الصوفي القادري[2].

ب- الطريقة الرحمانية: (أسسّها محمد بن عبد الرحمان القشتولي الجرجري (1720-1794)م من قبيلة آيت إسماعيل بالجرجرة "المدعو عبد الرحمان بوقبرين"..)، لقد كان للرحمانية وجود قوي في الجزائر «67139 مريد بنسبة 6 ,45% من عدد سكان المنطقة»[3]، ويعتبر محمد بن عزوز البرجي شيخ الطريقة الرحمانية (برج طولقة)- الذي ورث بركة الطريقة عن شيخه مصطفى بن محمد باش تارزي- وكأنه مؤسس لطريقة جديدة تسمى العزوزية – الرحمانية، كما كان احتلال فرنسا لبسكرة وتطور أحداث الجزائر سببًا آخر في تفريعات الطريقة الرحمانية[4]. ولقد أعطى "هنري قارو" الذي درس الحركة الإسلامية في أوائل هذا القرن إحصاء للطريقة الرحمانية سنة 1906م، فكان مجموع الأخوان الرحمانيين بناءً على رأيه هو 133500 من بينهم أكثر من 13000 من النساء ومنهم أيضا 13000 إخواني و15 زاوية في نفطة[5].

---

[1]- Archives Nationales(Tunis), Serie D, C156, Dossier 13, C163, Dossier 2, C167, Dossier1, C168, Dossier1, C172, Dossier 1,C178, Dossier1

مراسلات، مواسم زيارات، تنقلات تتعلق بالروابط الروحية والصوفية بين القطرين الجزائري والتونسي

- يراجع أيضا: - علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983، ص 37

[2]- عميراوي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر: دار الهدى، 2003م، ص 27. راجع أيضاً:- هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)م. ص120 يراجع أيضا :

- Rey (G.Z), Le Royaume Arabe, Alger: S.N.E.D.1977.

[3] – Cour(A),"Recherche Sur l'état des Confrères Religieux Musulmans in Revue Africaine, 1862. P115.

[4]- Archives Nationales (Tunis), Série D, C550, Dossier 30/15,F 886.

ملف خاص بابن عزوز ضمن ملفات سلسلة المشتبه فيهم (Gents suspects) ويتضمن 120 وثيقة.-راجع أيضاً: ابن أبي ضياف(أحمد)،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،ج3،تع أحمد الطويلي،الجزائر :ش.و.ن.ت 1979م، ص 132.

[5]- نفسه، ص179.

وبعد ثورة 1871م أُضطهدت الطريقة الرحمانية، وهُدمت زواياها الواقعة في المناطق الثائرة وتفرعت إلى فروع وفقدت مركزيتها بعد هدم زاوية "صدوق" بزعامة الشيخ الحداد، ونُفي زعمائها إلى خارج الجزائر، وجزء منها نُفي إلى تونس (فرع المقرانيين)، ولكنها كانت أكثر الطرق انتشارًا، فعدد زواياها 177 وطلبتها أكثر من 676، ولها 140596 من الأخوان إضافة إلى 13186 امرأة، والإحصاء العام يذكر أن حوالي 165214 تابعًا ولكن هذا الرقم دون الواقع بكثير[1].

ج- الطريقة الشابية: (أسّسها أحمد بن مخلوف أحد أتباع الشيخ محمد بن ناصر الدرعي)، وفي كتاب العدواني معلومات هامة عن نشاط الشابية من جهة وعن نمط حياة أهل سوف قبل العهد الفرنسي.. والذي يعود إلى وثائق الطرق الصوفية المتواجدة في وادي سوف سيجد لا محالة أسماء العلماء الذين كانوا يقومون بنشر التعليم ومبادئ الدين والمذاهب.[2] لقد كان للشابية نفوذ ديني واسع امتد إلى كل من القالة وسوق أهراس وتبسة والأوراس، إذ كانت القبائل والأسر الثائرة بالأوراس مدعمة بقوة الشابية على الحنانشة والنمامشة المتحالفتين اللتين كانتا من القبائل القوية بالشرق الجزائري حيث امتد نفوذهما إلى "نقرين" في تونس ...وكان الهدف من التحالف هذا هو محاربة بايات قسنطينة مثلما حدث ضد الحاج أحمد باي عام 1828م[3].وذكرت تقارير فرنسية عام 1896م أن الشابية في الجزائر كانت ما تزال قوية في سوف لأن أهل الوادي ما يزالون على احترامهم لأجداد الشابية، وللشابية 2500 من الخدام في نواحي عنابة وقالمة ووادي سوف وقسنطينة.

د- الطريقة العليوية: تأسّست بمدينة مستغانم سنة 1910م،[4] وهي الفرع الأخير للشاذلية والدرقاوية، وهي تُنسب إلى الشيخ "أحمد بن مصطفى بن عليوة" الذي ولد في مستغانم حوالي 1867م وتوفي سنة 1934م، أخذ

---

[1]- نفسه، ص 294.

[2] – العدواني محمد بن محمد بن عمر، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، المصدر السابق، وللتوسع أكثر يراجع:
– سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م، ص ص(170– 185).

[3] -Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 02,F (2-3-4).
وللتوسع يراجع : – عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني، قسنطينة، دار البعث 2002، ص 28.

[4]- المدني، كتاب الجزائر، ص 353. للتوسع يراجع :
العربي (إسماعيل)، حاضر الدولة الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م.و.ك، 1984م، ص86.

المبادئ العلمية في مستغانم والتصوف عن "محمد البوزيدي" وتَصدر بعده لعمارة زاوية شيخه، ثم استقل واستمد زاوية خاصة به في مستغانم عام 1910م وأخريات في معسكر وغليزان والجزائر، وقد اشترى بن عليوة مطبعة للزاوية وأسّس صحفًا كانت تنشر نشاطه كما كانت تُرافع عن الزاوية ضد مخالفيها ومن أشهر صحفه أسبوعية "لسان الدين" و"البلاغ الجزائري"، حيث كان لهما آراء صريحة لتأييد الجامعة الإسلامية واليقظة الوطنية وقد وقفت ضد الاندماج وأنصاره وضد التجنيس ودافعت بشدة عن اللغة العربية، ومن الوسائل العصرية التي لجأ إليها الشيخ، نشر آرائه في كتيبات ومطبوعات، فقد نُسب إلى الشيخ تأليف حوالي 14 كتابا وهي في الواقع وسائل وكتيبات صغيرة تشبه التقاييد ومعظمها في التصوف والشعر ومنها (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) و(المنح القدوسية)[1]، وعلّق "ماسينيون" على الطريقة فقال أنها "فرع جديد للدرقاوية والبوزيدية، وكانت نشيطة، وهي تقول أن لها أتباعًا يمتدون من "مليلة إلى تونس" ويصلون إلى 300000/ن (!!) وهو رقم مبالغ فيه بدون شك".[2]

هـ-الطريقة السنوسية : أسّسها الشيخ محمد بن علي السنوسي الخطابي (1792- 1859)م المولود بمدينة "يلل" قرب مستغانم[3] وتسمى الطريقة السنوسية بالطريقة المحمدية وأتباعها يُدعون بالأخوان مثل معظم الطرق الأخرى ولكن تستوعب عدد كبير من الأتباع نظرًا لعدم كثرة قيودها أو شروطها، وقد ذكر بعضهم أن حوالي عشر طرق منتشرة في الجزائر لها أتباع للسنوسية وتخضع لتعاليمها، وقد اتهمت حتى التيجانية بأنها ضالعة في هذا التيار، أما الشاذلية والدرقاوية والمدينية فبالتأكيد أنها مستوعبة في السنوسية وقد ذكر " فينيون" أن أتباع السنوسية مستعدون لتنفيذ الاغتيالات والقيام بالثورات، ثم عدّد ما واجهه الفرنسيون من أتباع السنوسية منذ 1852م تاريخ الهجوم على الأغواط من قبل الشريف محمد بن عبد الله صديق السنوسي، وكذلك مبعوثي السنوسي (1879-1880-1881)، ووجود شخصيات منها في ثورات أولاد سيدي الشيخ واغتيال بعثة " فلاترز" عام

[1]- نفسه، ص (126-132)

[2] -Berque (A)"Un mystique moderniste, Revue Africaine 79/1936, n°761-776.

[3]- لوثروب(ستودراد)، حاضر العالم الإسلامي، ج2،تر،تع: شكيب(أرسلان)،سوريا:الفكر العربي،351هـ، ص.ص (398-407).

1881م[1]، حيث اعتبر الفرنسيون السنوسية خطرًا عليهم، ابتداءً من " دوفريية" إلى "لاجاتو" عام 1911م، ولكن درجات الخطر تختلف من كاتب إلى آخر ويقول "رين":« أن الفرنسيين أخذوا يهتمون بالسنوسية فعدد أتباعها في الجزائر حوالي 4800 فرد، ولهم زاوية واحدة هي زاوية طكوك و30 مقدمًا في سنة 1897م»، وذكر"ديبون" و"كوبولاني" أن السنوسية تعد 950 أخوانيًا وعشرون مقدمًا وشيخا واحدًا وزاوية واحدة».[2]

و- الطريقة التيجانية: أسسها سنة 1778م بمدينة فاس الجزائري الشيخ أحمد بن محمد المختار التيجاني المولود بعين ماضي (ت1815م)[3]، الذي أخذ التصوف عن العديد من الشيوخ في الجزائر والمغرب والمشرق، ومن عدة طرق: قادرية، شاذلية طيبية،...وبالتالي فطريقته تختلف تمامًا عن غيرها في التعاليم والأوراد[4]، ويكاد ينعدم أثر الخلوتية في التيجانية وآثار الطرق الأخرى فهي نتاج لعدد من الطرق التي أخذ عنها الشيخ المؤسس، وكذلك تعتبر التيجانية المدرسة الجزائرية الوحيدة في التصوف والتي لم تأتي إلى الجزائر من الخارج.

وهناك طرق صوفية ذات نفوذ قليل في الجزائر أما أصولها فتوجد في دول المشرق ومعظمها ترجع إلى طرق معروفة كالقادرية والشاذلية مثل: البوعلية التي ترجع إلى بوعلي السني دفين نفطة (ت 610 هـ) وقد اشتهر بالنفطي وهو من تلامذة أبي مدين دفين تلمسان 594هـ[5]، والطيبية التي أسّسها مولاي عبد الله بن إبراهيم ونظمها الشيخ مولاي الطيب توفي (1668) وهي طريقة متفرعة عن الشاذلية وأتباعها من المهاجرين من المناطق الصحراوية وخصوصا من منطقة توات في الجنوب الجزائري.[6] والعيساوية التي أسسها الشيخ محمد بن عيسى الإدريسي (ت 1524م) المولود بمدينة مكناس. والعلوية التي أُسست في القرن السابع للهجرة (7هـ). والحشاشية الخاصة بأهل "تقرت"من الجزائريين القاطنين في تونس.[7]

---

[1]- نفسه، ص 262.

[2]- للتوسع راجع، شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، دمشق دار الفكر، 1948م.

[3]- نفسه. ص.ص(396-397).

[4] - الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج1،الجزائر: مطبعة بيير فونتانة، 1907م، ص38

[5]- سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 275.

[6]- إسماعيل (العربي)، حاضر الدول الإسلامية، ص 87.

[7] -إسماعيل العربي، حاضر الدول الإسلامية. ص 86.

وعموماً لقد لعبت الطرق الصوفية في المغرب العربي دورا هاما وخطيرا، هذا الدور له اتجاهان :

- اتجاه إيجابي ضخم بعيد المدى في نشر الإسلام بالقارة الأفريقية على نحو أذهل المستعمرين وأقضّ مضاجعهم .

- اتجاه سلبي أو مضاد في الالتقاء بالاستعمار الفرنسي وتأييده وتأثيره على العامة للإذعان له، ولقد ظهر هذا الاتجاه في بعض الطرق الصوفية التي قدمت تنازلات مادية ومعنوية تحت ضغط الاستعمار وتهديده خلال الفترة المتأخرة من القرن السابق .

ولا شك أن الحركات الفكرية في الجزائر كان مبعثها إسلاميًا، وعلى الجملة فقد كانت هذه الطرق مراكز وجماعات للدعوة الإسلامية، فقد أخرجت العشرات من الدعاة الفاقهين الفاهمين الذين إنبثوا في أفريقيا وكان لها دورها الواضح في نشر الدعوة ومواجهة جماعات التبشير المسيحية ومقاومتها، وكان دورها البالغ في مقاومة النفوذ الفرنسي والايطالي والاسباني المتسلط على المغرب العربي كله، «إن هذه الطرق استطاعت أن تحفظ الإسلام في هذه البلاد في عصور الجهل والظلمات، وعمل رجالها الكاملون الأولون على تأسيس الزوايا (الرباطات)، ويرجعون فيها الضالين إلى سواء السبيل، ويقومون بتعليم الناشئة وبثّ العلم في صدور الرجال ولولا تلك الجهود لما كنا نجد الساعة في بلادنا أثرًا للعربية ولا لعلوم الدين».[1]

ولعله من المفيد التذكير ببعض العناصر المتعلقة تعلقاً مباشراً بالموضوع، إن الحملة الفرنسية ضد الجزائر قد قررها شارل العاشر اليسوعي المتحمّس، وباركها البابا وأيّدتها الكنيسة في فرنسا وفي غيرها من ممالك أوروبا، وبعد نجاح الحملة تهاطل على الجزائر المبشرون وأخذت السلطات العسكرية تهدم المساجد وتحوّل بعضها إلى كنائس وتستولي على الأوقاف الدينية ... وكل هذا يُعطي للغزو الفرنسي طابعًا صليبيًا واضحاً، لا يختلف كثيراً عن الطابع الصليبي الذي ميّز الحروب الصليبية القديمة المعروفة، ثم إن القوانين الاستثنائية التي أصدرتها السلطات الاستعمارية بشأن الجزائريين كانت كلها تقوم على الحروب الصليبية، ولو أنها كانت في ظاهرها تخفي ذلك، ويدخل في ذلك قانون إلغاء القضاء الإسلامي وقانون الجنسية الصادر

[1]– الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965، ص 51

سنة 1865م، وإهمال التعليم الإسلامي وإطلاق الحرية للمبشرين ولا سيما منظمة الآباء البيض والأخوات البيض، وعدم تطبيق مبدأ فصل الدين عن الدولة بالنسبة للإسلام...كل ذلك وغيره من القوانين الاستثنائية تجعل من الوجود الفرنسي ليس مجرد سلطة احتلال سياسي واستغلال اقتصادي ولكن قوة صليبية تحمل معها أضغان الماضي بكل بشاعته.

وبالمقابل فإن المقاومة التي أعلنها الجزائريون في المدن والأرياف كانت بالأساس دينية أيضًا، أي أنها كانت من جنس الفعل فالغزو الصليبي قابلوه بإعلان الجهاد الذي كان يحتوي عندئذ على المعنى الديني المحض أي الحرب في سبيل الله وحده وطلب الشهادة أملاً في دخول الجنة ويحتوي أيضا المعنى السياسي الصافي وهو الحرب في سبيل تحرير الوطن من الغازي المغتصب أملاً في العيش الكريم وابتغاءً للحرية، وهذا المفهوم للجهاد هو عين الوطنية أو هو الوطنية السياسية،كما سمّاها بعض الباحثين، ونحسب أن الجهاد بالمفهوم الإسلامي لا يخرج أيضا عن الدين والسياسة خلافاً لما نعته به أعداء الإسلام، وهو الحرب المقدسة، فالجهاد الحقيقي يعني طلب الشهادة وطلب الحرية معاً.

لقد لاحظ الاستعمار الفرنسي أثناء اتصاله بالشعب الجزائري مدى التلاحم والارتباط العضوي بين أجزائه في السرّاء والضرّاء، ولاحظ أيضاً أن مادة التلاحم والارتباط هي الدين، فعملوا على تفتيت تلك المادة بإثارة النعرات القبلية والجهوية والعائلية وقد ظهرت آثار هذه السياسة بالخصوص في ميدان التعليم وميدان التشريع، فلم يعد الجزائريون يتلقون تعليماً واحداً، ومن الواضح أن هذه السياسة تتماشى تمامًا مع الأهداف الصليبية(الدينية) من جهة والرومانية(السياسية) من جهة أخرى.

2 – الطريقة الشيخية " النشأة والتطور" :

وتنسب الشيخية إلى الولي الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن بوسماحة الملقب بسيدي الشيخ[1] دفين الأبيض سيدي الشيخ (ولاية البيض حاليا) ولد حوالي عام 940هـ– 1533م[2] وكانت وفاته سنة 1023هـ–

[1] – Houari Touati: Entre Dieu et Les Hommes, lettres, Saints et Sorciers au Maghreb au 17s, Paris, p204

[2] – حسبما يستخلص من مخطوط " مناقب الشيخ سيدي عبد القادر.." لمؤلفه الفقيه أحمد بن أبي بكر السكوني الذي جمع فيه أخبار الشيخ عبد القادر سيدي الشيخ وكراماته. راجع:
- Rinne Louis, Marabouts et Khouans. Etude sur l islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884 P350

1616م، وأصولها الصوفية على الأرجح ترجع إلى عدة طرق منها القادرية والشاذلية والطيبية والصديقية والبكرية وكان مؤسسها قادري الطريقة إلا أنه أصبح مقدماً للشاذلية على يد محمد بن عبد الرحمان السهلي عن هذا الأخير أنه قد أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن يوسف المليانى إلى آخر السلسلة المعروفة بسلسلة البركة[1]. تعلم عبد القادر بن محمد على يد أبناء عمومته الذين اشتهروا بشرقي المغرب وبالجنوب الغربي الجزائري كمرابطين بوبكريين، يكن لهم سكان المنطقتين كل الاحترام والتقدير، لِما تميزوا به من مكانة اجتماعية منذ استقرارهم هناك[2] حيث تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمان السهلي صاحب زاوية السهول[3] وأخذ كذلك عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي السوسي الشهير، واستقر بفجيج وأنشأ بها زاوية بقصر الحمام الفوقي فكثر أتباعه وذاع صيته في المنطقة وجاءه الطلاب والمريدون من كل مكان قصد نيل البركة وأخذ الأوراد وصقل مداركهم الصوفية، ونخص بالذكر منهم أحمد بن أبي محلى الساوري من بني عباس الذي لازمه لمدة وصاهره ثم انقلب ضده لأسباب لم يصرح بها، وألف فيه مجموعة من التآليف ملأها قدحاً وتشهيراً[4] فرد عليه شيخه المترجم له بقصيدته التائية المسماة الياقوتة في التصوف[5] وهي عبارة عن قصيدة منظومة تتكون من 178 بيتا، أبرز فيها تجربته الصوفية ومعراجه الروحي. في حين دافع عنه وأخلص له فقهاء فجيجيون آخرون ميالون لعلم الباطن، كما أخذه الشيخ سيدي عبد القادر. منهم على سبيل المثال أحمد بن بكر السكوني صاحب تأليف المناقب السالف الذكر.

وماعدا قصيدة "الياقوتة" وقصيدة ثانية ترتل في الحضرة أثناء اجتماع مريدي هذه الطريقة لم يسجل للشيخ عبد القادر أي تأليف آخر عدا رسالة جوابية مطولة تنسب إليه أرسلها إلى السلطان زيدان بن أحمد المنصور السعدي تتعلق بالسؤال عن "تفصيل الأصل والفصل والكيفية والحال والوفاء والعهد بالمقال والفعال" وهي هموم تندرج في مدارج العلم

[1]– أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي،، ج1، الجزائر :دار البصائر، 2007، ص103

[2]– أحمد بن عثمان حاكمي، الطريقة الشيخية في ميزان السنة، مطبعة مكاتب القدس، وجدة1996 ، ص15

[3] – توجد على مقربة من بوذنيب.

[4] – منها منجنيق الصخور، والاصليت الخربت...الخ

[5] - J.Berque, les Oulémas Fondateurs, insuges du Maghreb, Sindibad, Paris,1981,
وقد أوردها أحمد بن أبي بكر السكوني في مناقبه.

الصوفي هل هي انشغالات صادقة يقصد بها السلطان ملأ فراغه الروحي في وقت بدأت فيه بوادر الأزمة السياسية تلوح في الأفق بعد وفاة المنصور الذهبي؟ أم أن السلطان زيدان كان يرمي من وراء رسالته هاته إلى امتحان الشيخ عبد القادر واختبار طريقته، بعد أن شاع أمره في الآفاق وبالأخص في منطقة المغرب الشرقي والغرب الجزائري بكامله. إذ يصفه أحدهم في تقييد " بالشيخ الأجل القطب الأكمل تاج الأصفياء وسلطان الأولياء وإمام أهل التمكين[1]. ويذكر كتاب المناقب أن الشيخ عبد القادر كان أيضاً رجلاً محارباً. فقد شارك بجانب المجاهدين الجزائريين في الحرب ضد الأسبان لتحرير وهران[2].

وكان الشيخ عبد القادر كثير الترحال انطلاقاً من مستقره بفجيج إلى غيره من قصور الجنوب وزاوية شيخه السهلي ثم إلى نواحي البيض جنوباً. ومنه إلى الشمال بدءاً ببلاد يزناسن ووجدة إلى تلمسان ووهران ونواحيها[3]، كما زار فاس وفقيق وتلمسان ووهران، وزار قبائل بني عامر في منطقة سيدي بلعباس، وزار عين ماضي بالقرب من جبل العمور، وزار قورارة حيث الحاج بلقاسم مؤسس الزاوية، التي تحمل الاسم نفسه، وزار توات وتافيلالت والجزائر[4]

وقد غادر فجيج بصفة نهائية ليستقر في الشلالة الظهرانية إلى أن وفاه الأجل بين كراكدة وروبا شرق جبال القصور يوم الجمعة ثاني جمادى الثانية عام 1025هـ/1616م. عن عمر يناهز 83 سنة ودفن بالبيض الذي سمي بعد ذلك بالبيض سيدي الشيخ. وفي بلدة فجيج اهتم سيدي الشيخ بتكوين المريدين، بعد أن أنشأ زاوية تدعى"العباد" تيمنا بعباد سيدي بومدين بتلمسان، ولم ينس شيخه محمد بن عبد الرحمن، بل داوم على زيارته حيًا وزيارة ضريحه بعد مماته، وتقديم الزيارات له ولخلفه من بعده واستمر على ذلك خلفه من بعده إلى اليوم يقدمون"الزيارة"خلف شيخ جدهم. لقد كان سيدي الشيخ ذا صيت ونفوذ واسعين، شملا مناطق عديدة وتبعته معظم القبائل في الجنوب الغربي الجزائري وجنوب شرقي المغرب ويعترف أبو محلي الفيلالي صاحب زاوية بني عباس 1593 م (وأحد تلاميذ الزاوية الشيخية ومن أنجح خريجيها،

[1] – تقييد خاص غير مؤرخ لم يرد فيه اسم صاحبه.

[2] - Houari Touati: Op.Cit.p198

[3]- Houari Touati:IBid,p205

[4] –Ahmed ben naoum, Uled-sidi-esh-sheykh, thèse de doctorat d'état, université de Provence, centre AIX, département de sociologie, 1993, TOME/ 01, P/42

والذي أصبح فقيهًا متمكنًا وأديبًا بارعًا ومن دهاة السياسة)« أن صيت الشيخ عبد القادر بن محمد قد بلغ الآفاق إلى قبائل بني يزناسن وإلى الأغواط وغيرها، وتبعا لهذا النفوذ كان السعديون بالمغرب يسالمونه وربما كان بينهما تراض ضمني.»[1].

والطريقة الشيخية بحسب مؤسسها هي من أقوم الطرق الصوفية وأقربها إلى الله، فمن تمسك بها وصل إلى ربه جلَّ وعلا مصحوبًا بالسلامة والعافية والكرامة والأنوار، قال الشيخ:

والي تابعني اغشاه الله بالنور *** طريقي أبيض ممرور للهادي

وقال أيضا في الياقوتة :

وحال لها حوى الأصول بأسرها *** طريقة أسلاف بيضاء نقية

فهذي فصولها وشرط كمالها *** منوط بعلم ثم حلم وحكمة

وقال تلميذه العلامة الولي الصالح سيدي محمد عبد الله الجراري رحمه الله:

طريقي إلى الرحمان حاوي المذاهب*** وحائز قصب السبق أعلى المراتب

تسمى بعبد القادر بن محمد *** لديه يروم المرء كل المواهب

جواب جرابي قد جرى بي ما جرى*** جراب ملاه الشيخ ليس بسائب

والطريقة الشيخية في رأيه هي جامعة بين الشريعة والحقيقة كقوله في الياقوتة:

فبالإتباع نلنا المراتب والعلى *** فبالله ما حدنا عن شرع وسنة

ومنذ عقلنا سدد الله سعينا *** وما زلنا مقتفين نهج الشريعة[2].

ويعتنق الطريقة الشيخية عدد كبير من المريدين بالمغرب العربي وأوربا، أين ينتشر أولاد سيدي الشيخ والقبائل التابعة لها: كالشرفاء، المهاية، العكارمة، احميان، العمور، أولاد جرير، بني مطهر، بني كيل، القرارشة الشعانبة الأغواط، البرابر، أولاد سيدي أحمد المجدوب، وغيرهم من القبائل[3]. ولفت الأنظار بورعه وتقواه ويشير المخطوط بأنه كان يملك ثروة واسعة كبيرة أرسل

[1] –André .p. j. contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, Editions la maison des livres, Alger, 1956, P/237

[2] – أحمد بن عثمان حاكمي، المرجع السابق، ص ص(15–16)

[3] – راجع التوزيع الجغرافي لها في ختام هذه الدراسة.

تلثها في حياته إلى مكة المكرمة، وأسس بثلث آخر زاوية بوبكرية لتعليم الدين والسنة والتصوف البوبكري الأصيل الذي أسسه أسلافه رحمهم الله[1].

لقد اتسعت شهرة سيدي عبد القادر بن محمد اتساعا عريضا وبلغت شهرته آفاق الدنيا. وفي هذا الصدد يذكر:الباحث بن علي بوزيان[2]:« في نصوص السكوني وابن أبي محلي مؤشرات ومثيرات تؤكد أن زاوية الشيخ عبد القادر السماحي قامت على قاعدة بشرية عريضة جدا، غطت جميع الشرائح الاجتماعية المتفاعلة في فجيج وامتداداتها بل إن شهرتها تجاوزت هذه الحدود إلى تافيلالت وتادلا، وأقصى جنوب المغرب، وتعدتهما إلى خارجه . والأهم . أيضا . أنها كانت أكثر تنظيما من أي زاوية في المنطقة كما سنرى.» وذات الحقيقة يؤكدها خصمه اللدود بقوله:«..ثم استمر الحال على هذا الظن الجميل به، والثناء الجليل لظاهر صلاحه في عيني، في كل قبيل حتى انتشر وذاع صيته وامتلأت به البقاع».

وقد خلف سيدي عبد القادر بن محمد من الذكور ثمانية عشرة ولدا لم يخلف منهم سبعة، كما خلف مجموعة من البنات وتتكون قبيلة أولاد سيدي الشيخ الكبرى التي تنتشر في أقطار المغرب العربي عموما وبالمغرب والجزائر خصوصا من خلف هؤلاء الأبناء 11. وعندما أحس سيدي عبد القادر بن محمد باقتراب أجله عهد بالمشيخة بعد وفاته لابنه الثالث في الترتيب سيدي الحاج أبو حفص، مشيخة تقلدها قرابة 46 سنة بعد والده، إذ كانت وفاته سنة 1671م كما أكد ذلك العياشي الذي كانت له به صلة قوية. ولما مات هذا الأخير عهد بها إلى أخيه سيدي الحاج عبد الحاكم، الذي كان يراه أهلا للمشيخة من بعده، رغم أنه خلف تسعة أولاد. أما سيدي الحاج عبد الحاكم فعهد بها إلى ابنه سيدي أبي حفص الحاج الذي كان مشهودا له بالفضل والصلاح. إلا أن أبناء عمه، حفدة سيدي الحاج أبي حفص الابن طالبوه بها بإلحاح باعتبارها كانت عند أبيهم مما اضطره إلى إرجاعها لهم والهجرة بنفسه إلى الديار المصرية حيث استقر هناك إلى أن وافته المنية هناك. وبقيت المشيخة في أولاد سيدي الحاج بحوص إلى أن وصلت إلى

1-Si Hamza Boubakeur,Un soufi Algérien Sidi Cheikh : sa vie, son ouvre, son rôle historique, ses descendants (Ouled sidi-cheikh),éd. Maisonneuve et larose, Paris1990.P249.

[2] – فجيج في عهد السعديين، المصدر السابق، ص 237

سيدي حمزة بالصبيعات الذي سلمها إلى الشيخ المجاهد سيدي محمد بن العربي الملقب بالشيخ بوعمامة.

«ومهما قيل في التناقضات التي تجاذبت شخصية هذا المتصوف المتألق، ومهما نسبوا له من نقائص، فإن ذلك كله يبقى برهانا على شخصية مدهشة في كل شيء: في طريقة عيشه وملبسه وكسبه وأسلوبه البارع في استقطاب المريدين، ولعله السر في نجاح زاويته وفشل عدوه ابن أبي محلي»[1]. هذا عن السلسلة الذهبية أو النسبية غير أن الكاتب الفرنسي هنري دوفريييه في دراسته العميقة في أصول هذه الطريقة[2] أرجع نسبهم إلى نسل فاطمة والإمام علي-كرمه الله وجهه- لكن الشائع كما سبق الذكر إنهم صديقيون نزحوا من مكة بعد طردهم من الجزيرة العربية في وقت غير معروف لأسباب دينية- سياسية[3]. ومن السلسلتين والوضع السياسي والاجتماعي يظهر أن عائلة سيدي الشيخ كانت وارثة لمجد ديني ومجد نسبي، وقد جلب إليها ذلك مكانة مرموقة وزادها وضعها الجغرافي المفتوح على الطرق الصحراوية والتلية شمالاً أهمية خاصة فاستغنت بالدين والتصوف وتحكمت بالسياسة والجاه، ولذلك اختلط أمرها على كثير من الدارسين، فمنهم من يدرس الشيخية على أنها طريقة دينية (دراسة رين) فإذا به يكتشف أنها في مرحلة تاريخية سابقة من عمرها أنها إقطاعية اقتصادية- سياسية، واتحادية كبرى من الأعراش والقبائل والنفوذ السياسي (دراسة كل من بيزي1864 وترومليي1884.....)، ومنهم من يدرسها على أنها إمارة وسلطة حاكمة فإذا به يجد نفسه أمام قوة روحية وشخصيات من طراز المرابطين الأوائل. مما يزيد في مكانة الطريقة الشيخية كونها نشأت في ظروف غير ملائمة تماما كما سنرى، ظروف يمكن إيجازها في ما يلي:

1- كونها نشأت في الوسط الفجيجي الذي كان يزخر بالزوايا والطرق الصوفية المحلية ذات المستوى الرفيع؛ طرق كانت تكتسح الساحة وتحول دون أي طريقة وافدة أن تثبت ذاتها في ذلك الوسط.ومن هذه الطرق نذكر: **الزاوية البرزوزية أو الجبارية** التي أسسها في نهاية القرن الثامن

[1]- بن علي بوزيان، فجيج في عهد السعديين، ص 245

[2] - اكتشاف الصحراء، باريس:1864،ص315

[3]- عبد القادر خليفي، الطريقة الشيخية، الجزائر: دار الأديب، 2006، ص20

الشيخ سيدي أحمد بن موسى البرزوزي وقد عرفت هذه الطريقة أوج نشاطها في عهد ابنه الولي الصالح الشهير سيدي عبد الجبار الفجيجي، **الزاوية السكونية** التي يرجع إنشاؤها إلى القرن التاسع الهجري على يد القاضي العالم الورع سيدي عبد الحق السكوني. إضافة إلى جانب **الزاوية الونشريسية**.

وإلى جانب هذه الزوايا المحلية كانت هناك طرق سابقة أخرى منتشرة بين أهالي فجيج نذكر منها القادرية والزيانية والطيبية وغيرها. وكان من المفروض إذن أن يمثل وجود هذه الطرق العريقة بهذا الشكل عائقا كبيرا وسدا منيعا أمام ظهور أي طريقة جديدة حتى ولو كانت محلية المنبع، ناهيك عن أن تكون وافدة.ومع ذلك فقد استطاعت الطريقة الشيخية أن تثبت ذاتها في ظل هذه الظروف، بل وتكتسح الساحة بشكل غير مسبوق.

2- الموقف العدائي الخطير الذي فجره من الداخل القاضي أحمد بن أبي محلى، موقف كان بإمكانه لوحده أن يشتت صف الزاوية ويشل حركتها نهائيا لو أنها لم تكن قائمة على أساس متين.

3- الحدة التي كانت معروفة آنذاك بين أهالي فجيج سواء فيما بينهم أو تجاه غيرهم. خصوصاً ذلك الصراع الشديد الذي كان ناشباً بين مختلف قصور فجيج التي يرجع معظمها إلى قبيلتي زناتة وصنهاجة وبعضها من آل البيت.

5) التدهور السياسي وغياب السلطة المركزية الموحدة حيث كانت الحقبة التي عاش فيها سيدي عبد القادر بن محمد بفجيج مسرحًا لمجموعة من الأحداث السياسية الخطيرة على مختلف الأصعدة نذكر منها: استمرار الحروب الصليبية بالمشرق العربي، وسقوط الأندلس في يد الأسبان وتوسع أطماع المستعمر الذي أصبح يستولي تباعا على الشواطئ المغاربية ويزحف إلى ما وراء ذلك.إضافة إلى استمرار الحروب الداخلية بين أبناء المنصور الذهبي السعدي على السلطة هذا التوتر السياسي المتعدد الجوانب أدى إلى غياب السلطة الواقعية التي تحمي البيضة وتبسط الأمن وتوحد الصف. لقد كانت كل هذه العوامل متجمعة تتكامل وتتآزر مبدئيا لتحد من مد الزاوية الشيخية وتوسيع دائرة نفوذها وامتدادها على ساكنة المنطقة.

وقد نشروا طريقتهم الدينية على طريق سلطتهم الروحية وكذا السياسية في بعض المراحل التاريخية فهم بحكم وظائفهم الإدارية أو الزمنية

جلبوا العبيد والخدم، ثم حرروهم وجعلوهم يقومون بشؤون الدين والسياسة– بحسب رأي الباحث أبو القاسم سعد الله[1]– ويقول بعض الباحثين إن دورهم الديني يتضاءل كلما سكنوا المدن وكذلك يضعف وزنهم السياسي، ولذلك فإن مكانتهم الحقيقية تكمن في عزلتهم واحتكاكهم بالطبقات الدينية والشعبية، أو كما عبر عنه البعض "إن قوتهم تكمن في بداوتهم" وقد اختار بعضهم طرقاً صوفية أخرى، مثل سليمان بن قدور الذي دخل في الطيبية وأصبح تابعاً لزاوية وزان.

ومن فروع أولاد سيدي الشيخ الدينية ما سماه بعضهم بالعمامية نسبة إلى الشيخ بوعمامة الثائر المشهور، وهو محمد بن العربي من ذرية سيدي التاج، أحد أبناء عبد القادر بوسماحة(سيدي الشيخ)، والده العربي مدفون بفجيج بالقصر المعروف بالحمام الفوقاني[2]. ويعتبر الشيخ بوعمامة المجدد الحقيقي للطريقة في العصر الحديث، فقد أخذ الطريقة عن شيخه محمد بن عبد الرحمن، أحد مقدمي الشيخية في بلدة بني ونيف، وهو الذي أشار عليه بالاستقرار في بلدة مغرار وتأسيس زاوية شيخية هناك، وذلك حوالي سنة 1875 إحياء لزاوية "سيدي الشيخ" في بلدة مغرار التحتاني حيث حاول الشيخ بوعمامة أن يوحد كلمة أولاد سيدي الشيخ بعد أن تفرقت كلمتهم عقودا طوالا، يقول أحد الرواة الشيخيين :إن الشيخ بوعمامة كان يدعو إلى الخير وإلى نبذ الخصام والفرقة، ولكن بقية زعماء أولاد سيدي الشيخ كانت لهم أطماع كبيرة في الجاه والسلطة، وقد عمل الشيخ بوعمامة على تجديد الطريقة وإحيائها، بعد أن كادت تنمحي بسبب الصراع بين طوائف أولاد سيدي الشيخ حول الزعامة ومختلف الأمور المادية .كما بنى الشيخ زاوية هناك بمساعدة سكان البلدة، وأعلن أنه مرتبط دائما بالشيخية أي أنه لم يبدع طريقة جديدة، كما لم يعلن عن انفصاله عنها .بل أعلن أنها" شيخية عمامية "متفتحة لكل المسلمين بدون تحفظ ولا تمييز لمواجهة الخطر الخارجي ويمكن لأي كان الانتساب إلى طريقة أخرى، وعلى الطرق جميعها أن تجابه المحتل موحدة.

وكان للطريقة الشيخية مهمة نبيلة، وعمل شريف يتمثل في تحفيظ كتاب الله تعالى، وتعليم أصول الدين وعلومه على ضوء العقيدة الأشعرية

[1]– تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص107

[2]– خليفي، المرجع السابق، ص ص(25–26)

والفقه المالكي والتصوف السني المغاربي الأصيل والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى والمحافظة على الطهارة وصلاة الجماعة إن أمكن، وذكر الله مع الفقراء، والنصح لكل مسلم، كما كانت تقوم بمحاربة البدع والانحرافات والشعوذة، والدعاوي الباطلة بالحكمة والموعظة الحسنة وبالتي هي أحسن.

- **زوايا "الطريقة الشيخية"بالجزائر:** ومنها على سبيل المثال:

– الزاوية المركزية الأم التي بها ضريح سيدي الشيخ المؤسس" ببلدية الأبيض سيدي الشيخ"، يخدمها عبيد الزاوية وحفدة سيدي الشيخ.

– زاوية سيدي الحاج الدين ببلدية بريزينة كان لها السبق في عقد لواء الجهاد لثورات أولاد سيدي الشيخ بقيادة سيدي سليمان بن حمزة سنة 1864م، وكذلك قادة ثورة التحرير المباركة بناحية البيض والقائمون عليها هم سيدي فتاتي بوبكر بن الحاج أحمد، وسيدي فتاتي الطيب بن الحاج الدين، وسيدي فتاتي حمزة بن محمد فهي مأوى للفقراء وإطعام الطعام وعابري السبيل، وبها مدرسة لتعليم القرآن الكريم.

– زاوية متليلي الشعانبية لمؤسسها سيدي الحاج أحمد بن بحوص دفين متليلي بالهضبة المطلة على زاويته بشعبة سيدي الشيخ وله قبة تزار هناك والقائم عليها نجله سيدي عبد القادر بن الحاج .

– زاوية عين سخونة ولاية سعيدة مؤسسها هو الولي الصالح الشهير سيدي الحاج محمد بن سيدي الحاج بحوص يترأس الزاوية حاليا الشيخ سيدي الحاج محمد الطيب بوصية من والده المرحوم سيدي الحاج المختار كما أسس هذا الشيخ مدرسة قرآنية بنواحي البيض .

– زاوية عسلة لمؤسسها الولي الصالح سيدي محمد بن يمينة بدائرة شروين ولاية أدرار بالمكان المسمى" تبو" أين أسس هذه الزاوية ثم انتقل بها إلى بلدة عسلة بولاية النعامة التي توفي بها حيث دفن بمقبرة سيدي أحمد المجذوب[1]

- **أشهر الزوايا بالمملكة المغربية:** لقد كان لتواجد العديد من أولاد سيدي الشيخ ومن مريدي الطريقة بالمغرب أثر إيجابي في توسيع نشاط الطريقة، ذلك أن الكثير من هؤلاء كانوا متواجدين بالمغرب الأقصى منذ ما قبل هجرة الشيخ بوعمامة سواء في عهد سيدي الشيخ أوعلى إثر المصادمات وسوء

[1]– سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص110

التفاهم الذي كان سائدا بين مختلف طوائف أولاد سيدي الشيخ .وقد جاءت معاهدة سنة 1845 بين السلطات المغربية والسلطات الفرنسية لتثبت تبعية أولاد سيدي الشيخ الغرابة للمغرب وتجنسهم بالجنسية المغربية [1]

ومن زوايا الشيخية بالمغرب الأقصى:- **الزاوية البوعمامية الشيخية** التي أسسها الشيخ بوعمامة وبها مسجد كبير ومدرسة قرآنية وهي الآن تحت إشراف الشيخ الحاج حمزة .و**زاوية سيدي الحاج عبد الحاكم** التي أسسها حفيده سيدي أحمد بن الشيخ وهو من أخص تلاميذ الشيخ بوعمامة، وهي تحت إشراف ابنه الأصغر المقدم محمد المزوزي بن أحمد.و**زاوية سيدي الحاج إبراهيم** التي أسسها أحد حفدته، والقائم عليها المقدم سيدي محمد بن طلحة البرهمي . و**زاوية سيدي أمحمد عبد** الله : التي أسسها أحد حفدته، والقائم عليها سيدي الشيخ معزوزي. و**زاوية سيدي بحوص الحاج بن الحاج عبد الحاكم:** القائمون عليها أولاد بن الطيب.و**زاوية مدينة الدار البيضاء** التي أسسها المقدم محمد حنيفة، وكانت تقوم بدور مهم جدا في الدعوة إلى الله تعالى ونشر الطريقة الشيخية .

فالشيخية المتواجدة مقرها بعين بني مطهر يشرف على تسييرها شيوخ شيخيون بالنسب.تتوالى عليها خلف الشيخ بوعمامة منذ استقرار هذا الأخير هناك في مطلع القرن العشرين وبخاصة منذ سنة1904 ، حين كانت عبارة عن زاوية متنقلة تحت الخيام خلال تنقل صاحبها الشيخ بوعمامة في هجرته إلى المغرب، ثم استقراره ببلدة عيون سيدي ملوك غربي وجدة .وفي سنة 1911 نقل سيد الطيب بن بوعمامة الزاوية إلى المكان الحالي المتواجد بالقرب من بلدة عين بني مطهر [2] وقد تواصل الاتصال بين مريدي الطريقة في الجزائر والمغرب ذهابا وإيابا، إما نحو زاوية الأبيض سيدي الشيخ بجوار ضريح سيدي الشيخ أو زاوية ماجنطة بولاية سيدي بلعباس حيث أسس سيدي التاج بن المنور (المتوفى سنة1944) زاوية شيخية في عهد سيدي الطيب بن بوعمامة[3]،كما أسس الشيخ محمد بن الحاج بحوص(المتوفى سنة 1954) زاوية الموحدين بدائرة الرقاصة بولاية البيض في الفترة التاريخية نفسها، أي في حياة سيدي الطيب بن بوعمامة .

[1] - De lamartinère et Lacroix, Document pour servir à l'histoire du nord africain, Gouvernement général de :_X l'Algérie, tome/2. Alger 1897. P/439.

[2]- عبد القادر خليفي، الشيخية والقادرية بين الجنوب الغربي الجزائري وشرقي المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر : التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، 2008م.ص10.

[3]- خليفي عبد القادر، الطريقة الشيخية، ص30.

ومن الجزائر كانت تتجه وفود الزوار نحو الزاوية المقامة بعيون سيدي ملوك أو نحو زاوية عين بني مطهر بالمغرب الأقصى.

وللشيخيين المغاربة إخوان لهم وبني عمومة جزائريين لهم علاقة وطيدة معهم .وقد فرضت الأوضاع السياسية المختلفة على العديد من مواطني هذا البلد أو ذاك من أن يقوموا بدور نضالي مزدوج، مرة مع هذا وأخرى مع ذاك . لذلك كثيرا ما وجدنا مواطنين كانوا من رواد الحركات التحررية في كلا البلدين،[1] كما دعم الشيخ عبد الحاكم بن سيد الطيب، زعيم الشيخية بعين بني مطهر الثورة التحريرية الجزائرية بتسليمها فرعا من الزاوية بالمكان المسمى غفورية بالقرب من بلدة عين بني مطهر كمركز للمجاهدين في الفترة ما بين 1958 و1962، وبجوار المكان سمح للثورة باستغلال أراضي مسقية(13هكتارا)، وسلمها تسعة وثلاثين بيتا لاستغلالها وفق حاجات المجاهدين[2]، أما عدد الأتباع فهو بالنسبة للطرق الأخرى كثير، وقد عرفنا أن سلطة أولاد سيدي الشيخ في الزمن الأول–الأربعينات والخمسينيات– كانت تمتد من حدود المغرب الأقصى إلى المنيعة وورقلة، ولكن منذ الستينيات التقليص والتحجيم والتقسيم...ونحن هنا يهمنا الآن عدد(الأخوان) التابعين لهذه الطريقة، حيث يذكر إحصاء سنة 1882م أن لهم 2780من الأتباع، و39 مقدماً، وخمس زوايا بينما ذكر لهم إحصاء سنة 1897م عدداً أكثر من الأتباع وعدداً أقل من الزوايا. فالأتباع 10216 إخوانياً ولهم أربع زوايا و45 مقدماً، وقد أكد إحصاء 1906م، هذا الإحصاء الأخير[3]

3 – الطريقة الشيخية ودورها خلال مرحلة المقاومة الشعبية:

3– 1 الأثر الروحي ودوره في المقاومة الشعبية:

إن عنصر الصوفي بات هو نفسه ضمن مجتمعه ومحيطه حالة طرأ عليها التغيير، فهو لذلك أضحى ينشد التغيير عن شعور ومسؤولية لأنه أدرك الفوارق القائمة بين حال الما– قبل وحال الما–بعد فهو من ثمة يدعو عن وعي إلى التجدد كما أن البيئة الإسلامية هي الأخرى مجبولة على الأصالة فالفلسفات والأفكار التي جاء بها الاستعمار وواقع الحال كانت سبباً

[1]– نفسه،

[2]– نفسه، ص11

[3] –Rinne (LOUIS), Histoire de l'insuruction en Algérie de 1871 ; p368-

في تحوّل المتصوفة إلى جبهة الإصلاح والتغيير، وأهم مظاهر التغيير التي سوّقت لفكرة الإصلاح هو عدم تساوق العلاقة بين المسلم والرومي المستعمر في الجزائر، الأمر الذي غيّب العلاقة الودية... وعمّق الفجوة بينهما.. وزاد في غربة مفهوم الحرية السياسية والسيادة الوطنية عند الأهالي مع ارتباطه بمعاني البطش والجور...وهو الظرف الذي فسح المجال لبروز فئة المثقفين المتدينين(الزوايا)، التي حملت على عاتقها مسؤولية النهوض والتيَقظ بين أوساط الفئات المسحوقة هذه الأخيرة التي أضحت تلقى في هذه الفئة المتنورة الأمل الدنيوي والرجاء الأخروي ومن دوافع يقظة طبقة المتصوفة أيضاً تأثر روادها في القرن 19م بمجريات العالم الخارجي ولتواصلهم مع الآخر حدث لهم إدراك جديد وبواعث مستجدة غيّرت من أحوالهم كالتوسع الغربي في البلاد الإسلامية، مثل الجسد يسارع إلى خلق دفاعيته ضد كل ما يخترق مناعته ويُهدد عافيته.

فمن الواضح أن ظهور شخصية الدرقاوي، وبومعزة، وبوعمامة وغيرهم على الساحة السياسية والوطنية قد صادف تهيّؤ ظروف أفرزتها تلك المرحلة وأعطت قابلية أكبر للعمل السياسي والوطني في البلاد، ذلك لأن أحداث الجزائر (جهاد الأمير) كانت لها سلسلة من الأصداء المتتالية التي لا يمكن إلا أن تهيّئ للعمل التغييري فقوافل المهاجرين كانت تحمل إلى مسلمي المشرق أخبار الغزو الفرنسي وتشيع فيهم أصداء من الانتصارات المبالغة فيها، كما كانت تُنهي إليهم إندحارات وترديات لمقاومات عسكرية وسياسية وثورية... كانت جسامة خسائرها تزيد من قلقهم ومن توجساتهم، زاده سقوط عدن 1839م ومنطقة الخليج 1853م فجاعةً وتأثيراً على الحالة المليّة مما زاد من هيئة التيّقظ وعلى هذا النحو تمهدت الأرضية لظهور جيل من الصوفيين أعقبوا الجيل الأول الذي كان رمزاه الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ بوعمامة.

ومن عوامل اليقظة أيضاً النشاط السلبي للقوى السكونية (الطرقية الضالة) المضادة لأي تحول وحركة..هذه القوى التي مارست التسلط الفكري والتفكك العقلي والتفسخ العقيدي، مما أدى إلى انحلال الروابط الداخلية للأجيال الغارقة في متاهات الشعوذة والسحر والزندقة المغيّبة عن الطموح والإرادة مما أدى إلى انتشار شتى العلل الفكرية وغياب ملامح الإبداع

والصراحة مع الذات ونقدها وبالتالي أدت إلى غياب العالم الإسلامي عن المشاركة في الفعل الحضاري..ولهذا أصبحت هذه الظواهر أكبر رهان للمتصوف المصلح الذي تحوّل من مرحلة القناعة الفكرية إلى مرحلة المشروع، فقد قام المتصوف المصلح بمواجهة قضية التخلف الداخلي المتميّزة بفقدان الفضائل الفردية والاجتماعية التي تكوّنت في تراثنا الخاص وعزوفنا عن الفضائل والبحث عنها في مصادر أخرى.

فالنشاط الاستعماري وما أقامه من مؤسسات استعمارية (مدارس فرنسية للأهالي، دُور للإرساليات التبشيرية وجامعات ومعاهد غربية المنهج..) مغلفة بغلاف مدني أو إنساني، قد بدأت تُحدث في الجزائر حالة من الرواج الخطير للأفكار والفلسفات التغريبية وهذا ما اقتضى من الطرق الصوفية الفاعلة ضرورة دعم مناعة الأمة ودفاعيتها وبذل الجهود الكبرى في صرف هذا الخطر أوالتقليل من أضراره وكشف زيفه، ومن أهم علل اليقظة عند الجزائريين في مرحلة المداهمة الاستعمارية، هو عامل الانخراط الروحي المتزايد الذي عرفته الأمة منذ القرن 18م بظهور القادرية والرحمانية والخلوتية والشيخية والسنوسية والذي أضحى مع دخول الاستعمار عامل تجنيد يحرّض الجماهير على التغيير والتجدد[1].

فالعالم الإسلامي شهد في القرنين 18م و19م انخراطاً روحياً يدعوا إلى تبني فكرة التمثل الروحي للكون وأسراره وتأخذ بالفقه الصوفي، فالخلوتية أعادت إلى مفهوم التابعية والإتباع رجاحته وتبعتها في ذلك السنوسية والتيجانية فبتعاليمها البسيطة ذات الطابع الجماعي استقطبت عديد الفئات والجماعات وأحيّت فيهم عقيدة الإسلام الصحيحة..، فالطرق الصوفية الصحيحة ظلت مادة ثقافية تكيّف الجماهير على الواقع والرضا به واحتماله بالصبر الجميل، ومع الوطأة الأوروبية على العالم الإسلامي أضحت أغلب هذه الطرق عامل تجنيد يُحرّض الجماهير على وجوب تغيير الواقع ومادة تُنفّر من شروط ذلك الواقع وتزرع في القلوب إرادة التجدد والتجاوز– رغم العيوب التي انتابت طرقها وأساليبها في التغيير والإصلاح– وهو ما كان له أثره على الإنسان ومداركه وعلاقته مع الأشياء والقيم، فشبكة الطرق الصوفية

[1] – عشراتي، المرجع السابق، ص ص(13–14) – للتوسع يُنظر: هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، بيروت: دار الفكر 1998م، ص ص(33–60) – ينظر أيضاً: ندوات الفكر المعاصر، التغيير مفهومه وطرائقه؛ بيروت: دار الفكر، 1998م.

وفروعها كانت تهيّكل وبالكاد كل المجتمع الجزائري خلال القرون 17م 18م 19م خصوصا بعد أن شهدت هذه التنظيمات انقسامات وتفريعات تحت ضغط الظروف الموضوعية ونتيجة اجتهاد الأتباع فالحركات القادرية والرحمانية والسنوسية مثلاً كانوا فاصلا تاريخياً هاماً ربط حلقات المجتمع الإسلامي الجزائري السابقة الأصيلة باللاحقة الداعية إلى الأصالة أو برجال مصلحين سابقين بآخرين تلوها في مراحل تاريخية متعاقبة.. حيث أدى الانخراط الروحي المتزايد خلال هذه الفترة في شتى الحركات الثورية والدينية، بكثير من فئات المجتمع إلى الارتباط من جديد رغم بساطة الفكرة وراديكالية التغيير بوجدان الأمة وبماضيها الجمعي.

يذكر حمدان خوجة في كتابه المرآة أن شيوخ الطرق الصوفية هم الذين أمروا جميع المواطنين الجزائريين بالتعبئة العامة والدفاع عن مدينة الجزائر العاصمة بعد تخلي الأتراك عن هذه المهمة وكشف الضابط دي نوفو في كتابه الإخوان الصادر سنة 1845 عن الدور الرئيس الذي أدّته الطرق الصوفية في مقاومة الاحتلال[1] وتحدّث النقيب ريتشارد عن ثورة الظهرة التي قامت سنة 1845 مُبرزا الدور المهم الذي قامت به الطرق الصوفية في هذه الثورة ومن تقرير للمفتشية العامة حُرّر بالجزائر سنة 1864 يعترف بالدور الخطير الذي تقوم به الطريقة الدرقاوية: «الدرقاوية كانوا معادين لنا كل العداء لأن غايتهم كانت سياسية بوجه خاص، أرادوا أن يشيّدوا من جديد صرح إمبراطورية إسلامية ويطردوننا، إن هذه الطريقة منتشرة جدا في الجنوب ومن الصعب جدا مراقبتهم، لقد كانت ندوات الإخوان سرية وكانت أغلبية رؤسائهم معروفة .. إن مشائخ الزوايا يختارون في تدريسهم للقراءة نصوصا من القرآن معادية لنا، مما يُحطّم فيهم وبسرعة الشعور الذي سعينا لتطويره فيهم من طرف مؤسساتنا وتعتبر التأثيرات الدينية من ألدّ أعدائنا والتي يجب أن نخشاها وتخطط لها سياستنا، وكانت القبائل الأشد عداء لنا هي تلك التي ينتشر فيها التعليم الإسلامي»[2]، وجاء في تقرير القائد الأعلى "دي توربيل" بتاريخ 4 أوت 1859، بعد الاضطرابات

[1] – سعد الله(أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، 1977م.أنظر أيضا: الإبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ع. 1996م.، ص55

[2] – أنظر: – بوعزيز (يحي)، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.– بوعزيز (يحي)، ثورات في القرنين (19–20)م، الجزائر: دار البعث، 1980م.

التي رافقت المعارك التي خاضوها ضد الجزائريين ما يلي: « إن مبعوثين وفدوا من مختلف أنحاء الشرق وينتمون إلى مجموعة سيدي عبد الرحمن بوقبرين الدينية الرحمانية، التي يسكن مقدمها الأكبر سي المختار بواحة أولاد جلال (بسكرة) ليسوا غرباء عما يجري، وقد كانت أشغال لجان التجمعات التي شرع فيها من نواح عدة في نفس الوقت موضوعا لخطبهم ومواعظهم».

لقد كانت السرية التامة هي الميزة التي تحيط بالزوايا، وما يجري داخلها، من نشاط شيوخها والتي لم يستطع الاستعمار بما لديه من إمكانيات ووسائل الإطلاع عليها، يقول ماك ماهون سنة 1851: « يجب على الإنسان أن يقضي حياته كلها في الزاوية حتى يعرف ما يجري فيها وما يقال فيها» ويقول المؤرخ الفرنسي مارسيل إيميري: " إن معظم الثورات التي وقعت خلال القرن التاسع عشر في الجزائر كانت قد أُعدت ونُظّمت ونُفّذت بوحي من الطرق الصوفية، فالأمير عبد القادر كان رئيسا لواحدة منها وهي الجمعية القادرية، ومن بين الجمعيات المشهورة التي أدّت دورا أساسيا في هذه الثورات: الرحمانية والسنوسية والدرقاوية والطيبية»[1]، ويؤكد السيد أوكتاف ديبون المفتش العام للبلديات الممتزجة بالجزائر . ومن مؤلفي كتاب الطرق الدينية في الجزائر 1897 في تقرير بعث به إلى لجنة مجلس الشيوخ المكلفة بالجيش والتي كان يرأسها "كليمانصو": « إننا سلفا نجد يدا مرابطية وراء كل هذه الثورات التي يقوم بها الأهالي ضدنا»، الشيخ محي الدين حمل راية الجهاد ويحملها بعده ابنه الأمير عبد القادر، وكان من أبرز المجاهدين في جيش الأمير عبد القادر سيدي محمد بن علال بن الولي الصالح سيدي مبارك دفين القليعة وشيخ زاويتها، الذي تولى قيادة الجيوش وخاض كبريات المعارك في نواحي وهران إلى أن سقط شهيدا في معركة وقطعت رأسه ووضعت في حراب من جلد وأرسلت إلى مريديه وأتباعه في شهر جانفي من عام 1845، كما شهدت منطقة الظهرة معركة هامة أطلق عليها الفرنسيون "انتفاضة الطرق الصوفية" وذلك لمشاركة العديد من الطرق فيها كـ: الرحمانية والقادرية والطيبية، وانتقم المحتل من عرش أولاد رياح الساكن

[1] – حرب (أديب)، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1،الجزائر: ش.و.ن.ت،1982م، ص 02.راجع أيضا: - الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م، ص17.يراجع أيضاً:
– Kaddache (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919-1951), T1, Alger: S.N.E.D.1980. P30

جنوب مدينة تنس والذي كان له شرف المشاركة في هذه الثورة»[1] ولا ننسى هنا ثورة الشريف محمد بن عبد الله المعروف بـ "بو معزة" في منطقتي الشلف والونشريس (1846 . 1847): من أتباع الطريقة الطيبية، الذي استنفر القبائل والأعراش بمنطقة الظهرة والشلف والونشريس واتسعت لتشمل التيطري والحضنة وجبال ديرة وسور الغزلان، ثم امتدت إلى نواحي أولاد جلال، حيث وجدت الزاوية المختارية وشيخها الجليل الشيخ المختار بن عبد الرحمن مقدم الطريقة الرحمانية كامل الدعم والمساعدة يضاف إلى ذلك ثورة البطل الشيخ بوعمامة، التي انتشرت عبر مناطق عين الصفراء وتيارت وفرندة وسعيدة وعين صالح وتوات، وكرزاز وتوفي سنة 1908 بعد ثلاثة عقود من الكفاح، وكانت ثورته امتداد لثورة سبقتها بقيادة أولاد سيدي الشيخ جنوب وهران، استمرت من سنة 1864 إلى 1880، وامتدت إلى جبل عمور التيطري متليلي ورقلة وأدرار وسعيدة وغليزان وسور الغزلان[2]....كما عاضدتها ثورة بن ناصر بن شهرة من الطريقة القادرية، الذي قال عنه الضابط الفرنسي "لويس رين":«كان ابن ناصر بن شهرة الملّاح الحقيقي للصحراء»، كما وجد المساعدة في الزاوية الرحمانية بنفطة لشيخها مصطفى بن عزوز التي كانت قبلة الثوار والمجاهدين، واستمر بن شهرة في كفاحه ضد الاستعمار إلى سنة 1875 حين أرغمه باي تونس على مغادرة بلاده، فيختار التوجه بحرا إلى بيروت ثم دمشق التي توفي بها سنة 1882.

ويسجل التاريخ لكثير من الطرق الصوفية مواقف لا تنقصها الشجاعة إزاء مواجهة العدو أو الظالم ورد الظلم والدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة المستضعفة، وذلك في عزة مدهشة قلّ أن توجد في هذا العصر، ولا يخفى علينا دور الطريقة القادرية في مقاومة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، ودور السنوسية في ليبيا غير خاف على أحد ونجد الدور نفسه قامت به الطريقة الشاذلية في مصر تجاه المحتل. والطريقة الشيخية من ضمن هذه الطرق الصوفية التي أدّت دورا هاما في المجتمع الجزائري وهي تمثل أحد المعالم الرئيسية البارزة وظاهرة دينية روحية اجتماعية وسياسية هامة في تاريخ الجزائر المعاصرة، فمن أي زاوية تناولناها وجدنا الكثير من

[1] – عن هذه الثورات راجع: يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين (19–20)،

[2] – Agéron (Ch.R), L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle, Paris: Sinbad, 1980, PP (39-61)

الفوائد والفرائد التي تساعدنا على فهم الكثير من الحقائق في الناحية الدينية والناحية السياسية والناحية الاجتماعية، وكان للانتفاضات والثورات الشعبية التي قامت بها الطريقة الرحمانية خلال القرن التاسع عشر أسس دينية، وهي الجهاد ضد النصارى المعادين للإسلام وبناء على ذلك أدّت زوايا الطريقة دورا كبيرا ورائعًا في معظم تلك الانتفاضات وأثّرت بشكل جلي على مسارها واستمرارها[1].

3 -2 الدور الثوري للطريقة الشيخية 1832-1908:

إن تاريخ أي أمة من الأمم هو كنزها الذي لا يضيع ورصيدها الذي لا يفنى، فكلما وقعت واقعة أو حدثت حادثة إلا وزادت قيمتها وعظمت مكانتها، وذهل العقل عند معرفة هذا التاريخ الغابر فمدينة الأبيض سيدي الشيخ صنعت كغيرها من البلدان عبر القطر الجزائري أحداثا تاريخية يشهد لها الزمان والأقوام، فمنذ اندلاع مقاومة أولاد سيدي الشيخ سنة 1861 . 1881 وانتفاضة الشيخ بوعمامة والمعارك التي قيدت في مطلع فجر أول نوفمبر وبعده كمثل معركة جبل الوتير بجانب تامدة وكذا معركة جبل تامدة، جبل سباع، أم القراف أرصاف الصابون، الواد الطوبل، إلا والتاريخ يسجل روائع ضرب الأعداء وزعزعة صفوفهم وإحباط مخططاتهم بجميع أشكالها. ونحن هنا لا ندرس دورهم السياسي المحض، لأن ذلك مكانه تاريخ الحركة الوطنية، ولكن نشير إلى الجانب الروحي عندهم وعلاقته بأحداث البلاد.

أ / انتفاضة (ثورة)أولاد سيدي الشيخ:

ولكي نستطيع فهم أسباب الثورة أغلب الشيوخ الدينيين ضد الاستعمار الفرنسي فإنه من الضروري أن نرجع إلى معاهدة 1845 التي

[1]- للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ط4، ج2 بيروت: دار الغرب الإسلامي 1992م، ص 102.- راجع أيضاً: - قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م، ص 157. - الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م- عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م - هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: بلا نشر، 1988م. - جلال (يحي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م، ص 83 وما بعدها. - غليسبي (جوان)، الجزائر الثائرة، تر. خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م، ص 34.- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية، ص104 وما بعدها - جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م.- جوليان (ش،أ)، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1،ج2، تونس: الدار التونسية لنشر، 1969م.- جوليان (ش،أ)، أفريقيا الشمالية تسير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.

- Ageron (CH.R), Histoire de l'Algérie contemporaine (que –sais –je ?) Paris, P.U.F.1977, P8 –
Mahsas (A), Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie., Paris: Ed, L'Harmattan, 1979, P26- –
Bontens(Claude), Manuel des institutions Algériennes, T2, Paris: Ed.Lucas, 1976

منحت العدو مراقبة جهات كانت تابعة لقبائل وزاوية أولاد سيدي الشيخ وكان الاستعمار يسعى من هذه المعاهدة إلى تفكيك القبائل وإلى خلق الفتن داخل مجموعة قبائل أولاد سيدي الشيخ التي توحدت لمقاومة الاستعمار . وحسب شهادات أهالي المنطقة فإن الأمير عبد القادر أتي في 1845 إلى مدينة الأبيض سيدي الشيخ ليلتقي بشيوخ القبائل ويناقش معهم السبل والوسائل التي من شأنها أن تدعم الكفاح ضد العدو وليس بحوزتنا حتى الآن أية معلومات دقيقة فيما يخص زيارة الأمير إلى الجنوب الوهراني غير أن البعض يؤكد أن بعض المتطوعين التحقوا بصفوف الأمير مباشرة بعد صلاة الجمعة وانضموا إلى الكفاح ولم يرض المحتل بهذا الاتفاق بين القبائل وذهب إلى تنصيب سلطة عسكرية تتمتع بكل الصلاحيات في الجهة الجنوبية الغربية من البلاد وفي نفس الوقت أنشأ المحتلون ما أسموه بالمكاتب العربية[1] .

ومن المعلوم أن هذه المكاتب كان هدفها هو جلب معلومات أكثر لقمع أي انتفاضة تهددها، فتعددت اعتداءات ضباط المكاتب حتى انتشر الغضب لدى قادة القبائل وكان نفي سي حمزة بوبكر سببا آخر في ارتفاع درجة التوتر وقد أدى الإعلان عن وفاته في العاصمة سنة 1861 إلى انتفاضة كل القبائل وإلى حد الآن مازالت أسباب موت سي حمزة محل نقاش وعلى كل حال فإن ابنه الثاني سي سليمان هو الذي خلف أباه على رأس مجموعة القبائل وقد كان لتولي سي سليمان الزعامة صدى عميقا، حيث أنه كان يطمح أن يلعب في المناطق الجنوبية نفس الدور الذي لعبه الأمير عبد القادر.

وفي فيفري 1864 غادر سي سليمان بن حمزة البيض ((جريفيل)) معلناً أنه لا يعترف بسلطة الفرنسيين على الجنوب الوهراني ومن الأبيض سيدي الشيخ وجه نداءه للجهاد ضد المحتل، وقد لبت نداءه القبائل. فكانت معركة عوينات بوبكر 1864 (على بعد 30 كلم من البيض)، وتروي الشهادات أن سي سليمان بن حمزة استطاع أن يطوق كل القوات الفرنسية وذلك باحتلال كل التلال المحيطة بقرية ستيتن وخلال المعركة تمكن الشيخ سليمان من التوغل في صفوف العسكر الفرنسيين إلى أن دخل مركز القيادة

[1] – محمود الواعي، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها. مجلة الجيش، العدد 404 الصادر بشهر مارس 1997

وقتل بيده العقيد بوبيتر المعروف بالسفاح حيث قضى على القبائل بأسرها وحسب المواطنين الذين رووا لنا بطولات أولاد سيدي الشيخ فإن سي سليمان استشهد خلال هذه المعركة. وبعد وفاته رفع عمه سي لعلا (زعيم ديني بورقلة) راية الثورة على رأس الشعانبة وأولاد سيدي الشيخ ليتصدى لقوات الجنرال دي لبينيي فشن هجوما خالدا في 04 فبراير 1865 ضد طابور من الجيش الفرنسي بقيادة العقيد كولان وتحت إشراف الجنرال دي ليننى وكان هذا الطابور معززا بالمشاة والفرسان من العساكر وجرت المعركة في غارة سيدي الشيخ وسط كثبان من الرمال ففي هذا الموقع القاسي لقي العدو هزيمة شنعاء اضطر إلى التقهقر الفوضوي والفرار. وأستشهد أثناء هذه المعركة الحامية الوسيط سي محمد بن حمزة.

وتزعزع الحكم الفرنسي أمام تطور الانتفاضة وأعطيت للعقيد نقريي " البطاقة البيضاء " لتدمير مدينة الأبيض سيدي الشيخ على آخرها، وكان ذلك يوم 15 أوت 1881م من طرف الجنرال نيقريي ليثأر لهزيمة إينوسانتي Inocenti وأعيد بناء قبة سيدي الشيخ من طرف مهندس مغربي من فجيج سنة1887م، وتبع تدمير مدينة الأبيض سيدي الشيخ جرائم أخرى من سياسة الأرض المحروقة التي تمثلت في حرق أكثر من ثلاثة ألاف من ثروة النخيل وتحطيم القصور وتدنيس الزاوية حيث كان موجود ضريح سيدي الشيخ، وحاول من خلال ذلك الاستعمار الفرنسي أن يقضي على موارد المعيشة للقبائل لردعها وعدم إتباع الحركة الانتفاضية لكن أخطأت الإستراتيجية العسكرية في حساباتها وهكذا فقد كان تدنيس ضريح سيدي الشيخ عارا لا تحتمله كرامة الجزائريين وكان هذا الحدث حافزا لاستمرار المقاومة والكفاح المسلح الذي دام عشرون سنة[1] .

ب/ ثورة الشيخ بوعمامة:

كان الشيخ بوعمامة من الرافضين لمعاهدة بريزينة التي أبرمها سي الدين بن حمزة الأخ الأصغر لثوار أولاد سيدي الشيخ مع الفرنسيين سنة 1880م .حيث نادى للجهاد في سبيل الله مواصلاً للنهج الثوري لأولاد سيدي الشيخ فانضوى تحت لوائه الكثير من القبائل والأنصار[2]. وواصل الشيخ

[1] - Djillali Sari:l'Insurrection de1881-1882-SNED-1980-p24

[2] – عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881 – 1908، الجزائر، ش.و.ن.ت . 1981

بوعمامة الجهاد في كامل أرجاء الجنوب الغربي وخاصة بتوات وقورارة وتديكلت، والشاهد على ذلك المقام الذي كان يؤوي الشيخ في ناحية قورارة وبالتدقيق بدلدول إلى أن وافته المنية بالمكان المسمى عيون سيدي ملوك بعمالة وجدة بالمغرب الأقصى سنة 1908م[1]، إن الشيخ كرس حياته كلها من أجل الوطن الكبير «الجزائر» فكان كل عمره بطولات وانتصارات لإعلان الحق والدين ولتحرير الوطن من المستعمر الفرنسي حتى فارق الحياة رحمه الله، ومن نتائج مقاومة الشيخ بوعمامة[2]:

1- كانت تحديًا كبيرا لسياسة الجمهورية الثالثة, والتي كانت ترمي إلى إتمام عمليات الاحتلال الشامل للجزائر واستطاعت أن تعطل وتعرقل المشاريع الفرنسية في الجنوب الغربي.

2- تمثل المرحلة النهائية من إستراتيجية الزعامات الوطنية في مواجهة الاستعمار الفرنسي عن طريق المقاومات الشعبية التي تعتمد أساسا على العامل الديني في تعبئة الجزائريين لمقاومة الاحتلال.

3- تعتبر من أعنف المقاومات الشعبية خلال القرن التاسع عشر بعد مقاومة الأمير عبد القادر.

4-كشفت ثورة بوعمامة ضعف الفرنسيين في مواجهة المقاومة مما جعلها تبحث عن الحلول السياسية لإخماد نار الثورة خصوصا مع المرحلة الثانية 1883 -1892 حين ظهرت قضية الأمان الذي كانت تبحث عنه السلطات الفرنسية من بوعمامة الذي رفضه من خلال المراسلات والمفاوضات التي كانت تسعى إليها فرنسا.

5- كانت الخسائر البشرية والمادية هي الأخرى من أبرز النتائج التي تمخضت عن هذه الثورة.

---

[1] - عمارة بن خليفة:المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة- الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين9 و2001/04/10 - النعامة-2001 -ص06 -للتوسع أكثر راجع: سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ط4، ج2 - بوعزيز (يحي)، "نماذج من مقاومات سكان الواحات"، الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م ص.ص(117- 134)

[2] - للتوسع يراجع - عمارة بن خليفة: المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة-الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين
9 و10/ 04/ 2001- النعامة- 2001 - يحي بوعزيز :ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين-ج1-ط2-منشورات المتحف الوطني للمجاهد- الجزائر -1996-
Djillali –Noèl : Documents pour servir à l'histoire de hamayn-BSGO -1915-1916-p150 -163
Sari :op.cit.p25

6- عجلت الثورة بإتمام مشاريع السكك الحديدية في المنطقة وربط الشمال بالجنوب.

7- إن مقاومة الشيخ بوعمامة حتى وإن لم تحقق أهدافها في طرد الاستعمار من المنطقة بسبب العقبات التي اعترضتها ومنها على وجه التحديد عدم التمكن من توحيد فرعي أولاد سيدي الشيخ وكذلك ضغوط السلطان المغربي عبد العزيز على الثورة وحصرها في الحدود ,إلا أنها أثبتت قدرتها على المقاومة وطول النفس وعرقلة التوسع في المنطقة .

لقد أشرف الشيخ بوعمامة على الطريقة الشيخية، فهذبها ورتب ما يرتب فيها وجعل منبعه فيما أبدعه منها وسماها :(الطريقة الإيمانية) لكي لا يحس أبناء عمومته بأنه مغتصب لحقهم في إرث جدهم الأول، ثم إن ما أراده من الطريقة قد تحقق بإتقان ومهارة وعبقرية،لأن المنهج السفلي في الذكر جعله معاصرا وصنع من المريدين والدراويش جيشا عرمرما يقف غصة في حلق الجيوش النظامية فيهزمها ويرسم انتصارات باهرة.

وقاد انتفاضة لم تتوقف إلا بوفاته، وعمل كل ما في وسعه لتوحيد القبائل، وجعل من أولاد سيدي الشيخ والجادبة وحميان والعمور، والشعانبة، قوة عظيمة يحسب لها ألف حساب بعد أن كانوا في غالبيتهم متطاحنين على أماكن الكلأ والماء، بل أنه أدخلهم التاريخ من الباب الواسع، قال عنه أحد القادة الفرنسيين ((إن انتفاضة بوعمامة هي قضية شعب بأكمله)).قال عن نفسه:((بأنني خلقت من أجل رفاهية أبناء هدا البلد الأوفياء لأوامر القرآن)).كما كان يقول: « إن جيشي الحقيقي هو الإيمان »[1].

إن الشيخ بوعمامة جعل العدو بقواته الرهيبة يجعل ألف حساب للمقاومات ،مهما كان شكلها ومهما كان أنصارها. إن انتفاضة الشيخ بوعمامة انطلقت من صلب الطريقة الصوفية، ثائرة على الأوضاع المزرية التي كان يعيشها المواطن الجزائري متفهمة لحقائق العصر ونابضة بدفق هواجس المستقبل، وبذلك تكون مكملة للحلقة التي فتحها الأمير عبد القادر، وعمقها أولاد سيدي الشيخ والثوار التواتيين في انغر والدغامشة، ومنطقة جرارة لتجدها أجيال أول نوفمبر 1954م مرتكزا تستند عليه لمواصلة المسيرة.

[1] – يحي بوعزيز : ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص48

الخـــاتـمـة: وعلى ضوء ما سبق عرضه نخلص إلى تأكيد النتائج الآتية :

. إن الجزائر كغيرها من شعوب العالم الإسلامي عايشت بتفاعل ظاهرة التصوف، واسهم علمائها في نشر مبادئها وأفكارها وممارساتها التي خلفت أثارًا ايجابية على لحمة وتماسك المجتمع، وبفضل جهودهم انتشرت مختلف الطرق الصوفية عبر ربوع الوطن.

. لقد أكدت الطرق الصوفية في حضورها الفعال في مختلف مجالات الحياة، ونهضت بكثير الأعباء الاجتماعية والدينية، ومنها التعليم والتثقيف، ونشر الأخلاق الفاضلة وتوحيد كلمة المسلمين، ونشر الإسلام ومواجهة الأخطار الأجنبية المحدقة ببلاد المسلمين كالغزو والتنصير والتبشير ...الخ .

. إن الطريقة الشيخية الصوفية رفعت راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي، ووحدت كلمتها على مواجهته بمختلف السبل الممكنة ونجحت في تحقيق نتائج باهرة في هذا المجال، الأمر الذي دفع بالإدارة الفرنسية إلى عدم الاستهانة بقوة هذه المؤسسة الدينية فعملت على تدجينها وتشويه صورتها، وان كانت حققت بعض النجاح لدى قاصري العقول إلا أن الطريقة الشيخية على اختلاف مواقفها كان لها دور بارز في المقاومة الثقافية ومحاربة الإدماج والمحافظة على قيم المجتمع وشخصيته المسلمة، وذلك عن طريق التعليم والتضامن الاجتماعي والسياسي.

ونحن هنا لا نعني تقديس الطريقة الشيخية وإبعاد كل خطأ عنها، بل هي طريقة صوفية تشارك بقية أخواتها من الطرق الأخرى في كثير من أمور الدنيا والآخرة سلباً وإيجاباً، ولكننا نعني قيامها بدور فعال في القرن التاسع عشر عندما تعرضت البلاد لأبشع احتلال في العصر الحاضر وبخاصة في عهد الشيخ بوعمامة الذي كرس حياته كلها لخدمة البلاد والعباد، ولهذا وجب التذكير بذلك والتنويه به، أي أن دور الأفراد هام في كل فترة من فترات التاريخ.

التوزيع الجغرافي لأتباع الطريقة الشيخية في نهاية القرن التاسع عشر[1]

المنطقة	الزاوية	عدد المقدمين	عدد الأخوان
الجزائر: دائرة غرداية	//	3	1476
وهران: المقاطعة والضواحي	//	1	20
عين تموشنت وضواحيها	//	2	40
سيدي بلعباس وضواحيها	//	1	10
معسكر وضواحيها	//	1	32
تلمسان وضواحيها	//	1	20
أولاد ميمون وضواحيها	//	1	20
سبدو(بلدية مختلطة)	//	1	09
عين الصفراء	//	6	197
الضاية	//	1	70
البيض(جيريفيل)	05	6	120
لالة مغنية	//	1	148
سعيدة	//	1	11
سبدو	//	13	917
المجموع	05	39	2780

قائمة المراجع المعتمدة

الوثائق الأرشيفية:

- Archives Nationals (Tunis), Série D, C178, Dossier 1, NP (1-2-3-4-5).

- Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 2, NP26.

- Archives Nationales(Tunis), Serie D, C156, Dossier 13, C163, Dossier 2, C167, Dossier1, C168, Dossier1, C172, Dossier 1,C178, Dossier1.

- Archives Nationales (Tunis), Série D, C550, Dossier 30/15,F 886.

- Archives Nationales (Tunis), Série D, C178, Dossier 02,F (2-3-4).

- De lamartinère et Lacroix, Document pour servir à l'histoire du nord africain, Gouvernement général de :_X l'Algérie, tome/2. Alger 1897.

[1] - Rinne (LOUIS), Marabouts et Khouans. Etude sur l islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884. P368

المصادر:

1- باللغة العربية

- ابن أبي ضياف(أحمد)،اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،ج3،تع أحمد الطويلي،الجزائر :ش.و.ن.ت 1979م.

- الحفناوي (أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج1،الجزائر: مطبعة بيير فونتانة، 1907م

- المدني (أحمد)، كتاب الجزائر (ط1- 1931)، الجزائر: دار الكتاب 1963

- العدواني محمد بن محمد بن عمر، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.

2- باللغة الفرنسية

- Cour(A),"Recherche Sur l'état des Confrères Religieux Musulmans in Revue Africaine, 1862

- Rinne (LOUIS), Histoire de l'insuruction en Algérie de 1871, Alger : 1891.

- Rinne (LOUIS), Marabouts et Khouans. Etude sur l islam en Algérie, Alger, Librairie éditeur ,1884.

المراجع:

1- باللغة العربية

- الإبراهيمي (عبد الحميد)، المغرب العربي في مفترق الطرق في ظل التحولات العالمية، بيروت: م.د.و.ع. 1996م.

- أحمد بن عثمان حاكمي، الطريقة الشيخية في ميزان السنة، مطبعة مكاتب القدس، وجدة، 1996 .

- بوعزيز (يحي)، ثورة 1871م ودور عائلتي المقراني والحداد، الجزائر: ش.و.ن.ت، 1978م.

- بوعزيز (يحي)، ثورات في القرنين (19-20)م، الجزائر: دار البعث، 1980م.

- بوعزيز (يحي): ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين-ج1-ط2-منشورات المتحف الوطني للمجاهد. الجزائر-1996-.

- جغلول (عبد القادر)، تاريخ الجزائر الحديث، تر: فيصل عباس، بيروت: دار الحداثة، 1983م.

- جلال (يحي)، الثورة العربية، بيروت: دار المعرفة، 1959م.
- الجندي (أنور)، الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، القاهرة: الدار القومية، 1965.
- جوليان (ش،أ)، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1،ج2، تونس: الدار التونسية لنشر، 1969م.
- جوليان (ش،أ)، أفريقيا الشمالية تسير، تونس: الدار التونسية للنشر، 1976م.
- حرب (أديب)، التاريخ الإداري والعسكري للأمير عبد القادر الجزائري، ج1،الجزائر: ش.و.ن.ت،1982م.
- الخرفي (صالح)، الجزائر والأصالة الثورية، الجزائر ش.و.ن.ت، 1977م.
- الخطيب (أحمد)، الثورة الجزائرية (دراسة وتاريخ)، بيروت: دار العلم للملايين، 1958م
- خليفي عبد القادر ، الطريقة الشيخية، الجزائر: دار الأديب، 2006
- سبنسر برمنجهام، الفرق الصوفية في الإسلام، تر. عبد القادر البحراوي، بيروت:دار العربية للنهضة،1997م.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3. بيروت :دار الغرب الإسلامي، 1998.
- سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي،، ج4، الجزائر:دار البصائر، 2007.
- سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامحة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1988م.
- سعد الله(أبو القاسم)، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، القاهرة: معهد البحوث والدراسات، 1977م.
- سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية(1900-1930)، ط4، ج2 بيروت: دار الغرب الإسلامي 1992م.
- شكري (محمد فؤاد)، السنوسية دين ودولة، دمشق: دار الفكر، 1948م.

– العربي (إسماعيل)، حاضر الدولة الإسلامية في القارة الإفريقية، الجزائر: م.و.ك، 1984م.

– عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1881 – 1908، الجزائر، ش.و.ن.ت . 1981.

– عبد العظيم (رمضان)، الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة، القاهرة: دار المعارف، 1985م.

– علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 1983.

– عميراوي (أحميدة)، رسالة الطريقة القادرية في الجزائر، الجزائر: دار الهدى، 2003م.

– عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني، قسنطينة، دار البعث 2002.

– غليسبي (جوان)، الجزائر الثائرة، تر. خيري حماد، بيروت: دار الطليعة، 1961م.

– قنان (جمال)، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1994م.

– فيلالي مختار، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، باتنة: دار الفن

– لوثروب(ستودراد)، حاضر العالم الإسلامي، ج2،تر،تع: شكيب(أرسلان)،سوريا:الفكر العربي،1351هـ

– محمد ناصر، المقالة الصحفية، مج1، الجزائر :ش.و.ن.ت، 1978.

– هشام شرابي، المثقفون العرب والغرب، بيروت: دار الفكر 1998م.

– هشام شرابي، ندوات الفكر المعاصر، التغيير مفهومه وطرائقه؛ بيروت: دار الفكر، 1998م.

– هلال (عمار)، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830 – 1962)، الجزائر: د.م.ج، 1984.

- هلال (عمار)، الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا، الجزائر: بلا نشر، 1988م.

2- باللغة الفرنسية

- Agéron (Ch.R), L'Algérie Algérienne de Napoléon III à De gaulle, Paris: Sinbad, 1980.
- Ageron (CH.R), Histoire de l'Algérie contemporaine (que –sais –je ?) Paris, P.U.F.1977.
- André .p. j. contribution à l'étude des confréries religieuses musulmanes, Editions la maison des livres, Alger, 1956.
- Berque. J., les Oulemas Fondateurs, insuges du Maghreb, Sindibad, Paris,1981.
-Bontens(Claude), Manuel des institutions Algériennes, T2, Paris: Ed.Lucas, 1976.
- Bousquet,G.H , Introduction a L'étude générale de l'slam, 4è édition, Alger, 1954.
- Djillali Sari:l'Insurrection de1881-1882-SNED-1980.
- Djillali Sari , Documents pour servir à l'histoire de hamayn-BSGO -1915-1916
- Houari Touati: Entre Dieu et Les Hommes, lettres, Saints et Sorciers au Maghreb au 17s, Paris.
- Kaddache (Mahfoud), Histoire du Nationalisme Algérien question Nationale et Politique Algérienne (919-1951), T1, Alger: S.N.E.D.1980.
- Mahsas (A), Le Mouvement Révolutionnaire en Algérie., Paris: Ed, L'Harmattan, 1979.
- Rey (G.Z), Le Royaume Arabe, Alger: S.N.E.D.1977.

المقالات:

1- باللغة العربية:

- بوعزيز (يحي)، "نماذج من مقاومات سكان الواحات"، الأصالة، الجزائر: جانفي 1977م .
- خليفي عبد القادر ، الشيخية والقادرية بين الجنوب الغربي الجزائري وشرقي المغرب، الملتقى الدولي الحادي عشر : التصوف في الإسلام والتحديات المعاصرة، الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية بأدرار، 2008م.

– عمارة بن خليفة:المنابع الروحية وأسلاف الشيخ بوعمامة– الملتقى الوطني الأول حول مقاومة الشيخ بوعمامة مابين9 و2001/04/10 – النعامة–2001 .

– محمد الأمين بلغيث، "السلطة في الجزائر وتونس في القرن 17م من خلال تاريخ العدواني" الندوة الفكرية الخامسة للشيخ العدواني، الوادي (1.2.3/ 2000/10).

– محمود الواعي، ثورة أولاد سيدي الشيخ والقبائل المؤيدة لها. مجلة الجيش، العدد 404 الصادر بشهر مارس 1997.

2– باللغة الفرنسية:

- Berque (A)"Un mystique moderniste, Revue Africaine 79/1936, n°761-776.

–Ahmed ben naoum, Uled-sidi-esh-sheykh, thèse de doctorat d'état, université de Provence, centre AIX, département de sociologie, 1993, TOME/ 01.

- Si Hamza Boubakeur,Un soufi Algérien Sidi Cheikh : sa vie, son ouvre, son rôle historique, ses descendants (Ouled sidi-cheikh),éd. Maisonneuve et larose, Paris1990.